أبو طالب (سلام الله عليه)

شيخ المؤمنين وشفيعهم

(سيرة سيدنا ومولانا)

- أبي طالب -

عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

(صلوات الله عليهم وعلى خَلَفِهِمْ الطيبين الطاهرين)

تأليف

سبط الشيخ الأردبيلي (طاب ثراه)

صاحب كتاب (الظليمة)

المتوفى ١٣٥٧

(قبح من المؤمن جهله)

صلوات الله
وسلامه عليه

أبو طالب

شيخ المؤمنين وشفيعهم

سيرة سيدنا ومولانا
ابي طالب
عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
(صلوات الله عليهم وعلى خَلَفِهِمْ الطيبين الطاهرين)

تأليف
سبط الشيخ الاردبيلي (طاب ثراه)
صاحب كتاب (الظليمة)
المتوفى ١٣٥٧

الفهرست

ص	موضوع	
٦	الامتحان	شعر للمؤلف
٧	الفصل الأول	مؤمن قريش
١٤		الاستغفار انظر أيضا ص٤٦
١٦		(يا عقيل، احبك حبين)
١٨		سيف الولد بعد لسان الوالد
١٩		غفلة قريش
٢٢		ثار قريش
٢٤	شيخ المؤمنين	شعر للمؤلف
٢٥	الفصل الثاني	في انتظار بزوغ نور يتيم أبي طالب (سلام الله عليه)
٢٦		ميثاق الأنبياء، دعوة إبراهيم، بشارة عيسى
٢٨		زمزم
٢٩		رؤى النبوة الخاتمة
٢٩		ابن الذبيحين
٣٢		أصحاب الفيل
٣٤		سيف بن ذي يزن
٣٥		احتجاج إبراهيم في التوحيد وعبد المطلب في العدل
٣٦		احتجاج شيخ المؤمنين في النبوة
٣٧		الاستسقاء الأول
٣٧		الاستسقاء الثاني
٣٨		الاستسقاء الثالث والاستغفار
٣٨		حديث النخلة
٣٩		حديث بحيرا الراهب

الفهرست

ص		موضوع
٤٠		كلمة شيخ المؤمنين في خطبة الصديقة الكبرى
٤١	الشفيع	شعر للمؤلف
٤٣	الفصل الثالث	مآثر ومناقب كافل اليتيم (سلام الله عليه)
٤٤		وانذر عشيرتك الاقربين
٤٨		فاصدع بما تؤمر
٥٠		اخذ عزيز مقتدر .. سألتني من أنت
٥٢		تحذير ... ياشاهد الله عليّ فاشهدِ
٥٤		حديث النجاشي الملك (رحمه الله)
٥٥		في شعب شيخ المؤمنين (سلام الله عليه)
٦٠		حصار خائب (ألا إن خير الناس)
٦٠		ردها ان استطعت يا أبا جهل
٦٤		وصية سيد مكة (سلام الله عليه)
٦٥		أخبار بالغيب من كلام كافل اليتيم (سلام الله عليه)
٦٦		دستور آل أبي طالب (كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل)
٦٩		آيات الكتاب المبين في كلام شيخ المؤمنين (سلام الله عليه)
٧٣		كافل اليتيم وصحابة السوء / شعر للمؤلف
٧٤	الفصل الرابع	شهادات من لا ينطقون عن الهوى (سلام الله عليهم)
٧٧	أولاً	شهادات المصطفى صلى الله عليه وآله
٧٩	ثانياً	شهادات المرتضى (سلام الله عليه)
٨١	ثالثاً	شهادات المعصومين (سلام الله عليهم)

الفهرست

ص	موضوع
٨٥	رمتني بدائها وانسلت/ شعر للمؤلف
٨٦	الفصل الخامس مكر المنافقين لاطفاء نور شيخ المؤمنين (سلام الله عليه)
٨٧	افيكة المغيرة
٨٩	اذية اليتيم ﷺ في الطعن بكافله (سلام الله عليه)
٩٠	هرف الحلبي
٩٠	افيكة العاصمي
٩٢	ثالث الأفاكَين المغيرة والعاصمي
٩٣	في آل أبي طالب: الشجاعة الوجه الآخر للأيمان
٩٥	على خطى عميدهم (سلام الله عليهم)
٩٨	علة النواصب في بغض أبي طالب (سلام الله عليه) / شعر للمؤلف
٩٩	اهم مصادر الكتاب

الإهداء

إلى الذي لو شُفِّعَ في كُلِّ مُذْنِبٍ على وجهِ الأرضِ لَشَّفَعَهُ اللهُ فيه[1]

مع الإقرار بالعجز عن إيفاء أدنىٰ درجاتِ منزلتِكَ القُدْسيّة حَقَّها..

تجاوزتُ قدري.. فتجرأْتُ.. وكتبتُ

وعُذري.. حُبّكم بني هاشم

المتعرِّضُ لشفاعتِكم

---

(١) سياتي قول رسول الله صلى الله عليه وآله هذا في حق عمه سيدنا ومولانا شيخ المؤمنين أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) ص٨٠.

الامتحان

إنْ شِئتَ أنْ تخبرَ ما لامْرِءٍ ... مِنْ طيبِ ميلادٍ لِتصْفيهِ

فقلْ لَهُ: إنَّ أبا طالبٍ ... وَحَقِّ أحْمَدٍ وباريهِ

فضلُهُ الربُّ الذي اختارَهُ ... لِيكْفِلَ الهادي ويَحميهِ

وقدْ قضَى بِكتْمِ إيمانِهِ ... ولَوْ قضَى لكانَ مُبْديهِ

فَقُلْ لِمَنْ يرجُو رِضا رَبِّهِ ... وإنْ أبا طالِبٍ تُرْضيهِ

فإنْ بَدا البِشْرُ على وَجْهِهِ ... أوْ.. لا.. ففي عِرْضِهِ ما فِيهِ

الفصل الأول

(مُؤمِنُ قُرَيْش)

سَيِّدُ مَنْ كَتَمُوا إيمانَهُمْ
شَيْخُ المُؤْمِنينَ أبو طالب
- صلواتُ مُصْطَفيهِ عليهِ وآلِهِ -

كَتَمَ الإيمانَ ونورُهُ في
قَوْلِهِ وَفِعالِهِ قَدْ أسْفَرْ
وَطَوى أضْلُعَهُ عليهِ ولَوْ
لَمْ يفعلْ دينُهُ لَمْ يَنْشَرْ

منذ أيام البشرية الأولى، وعلى مر العصور، كان قوم كل نبي ينقسمون في بدأ الدعوة إلى فريقين: قلةٌ مؤمنةٌ بما جاء به وأكثريةٌ كافرةٌ، وإذا شاء الله وانتصر النبي على أعدائه، وظهرت القلةُ المؤمنةُ بما افاضَ اللهُ عليها من أسباب القوة والعزّة فانّ الاكثرية الكافرة لا تجد بُداً من التظاهر بالإيمان بالدعوة لتحتمي بالدين وتشارك في جَني المكاسب وبلوغ مراكزِ السلطة في الواقع الجديد ومن ثم العمل على تحريف ما جاء من السماء بان تنسب للنبيّ ما لم يقله وما لم يفعله فلا تمضي السنون بل الشهور حتى تكون الاكثرية المنافقة نَسَخَتِ الدّينَ بمسخٍ لا يجمعه به إلّا الاسم وفي سبيل ذلك تضطهد القلّةَ المؤمنةَ وتُعتّم على مكانتها وتُحجّم اثرَها وتعزلها عن عموم الناس بعد موت النبيّ أو قتله وقد يبلغ الاضطهاد حَدّ السجن والقتل والتجويع وانتهاك الحرمات مما يضطر القلة المؤمنة إلى الهجرة إلى ارض الله الواسعة إنْ استطاعوا وإلّا كتموا عقيدتهم وتظاهروا بأنهم على دين قومهم وتواصوا فيما بينهم بالصبر على المعاناة في انتظار نبي آخر لتكرار الحال فيؤمن به مَنْ آمن بسلفه وتكفر به الغالبية المنافقة التي كفرت بمن سبقه من الأنبياء وذلك قوله تعالى ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾[٣] ومع كل مبعوث كانت تتأكد بشارة مجيء نبيٍّ في آخر الزمان سوف لن تضطر القلةُ المؤمنةُ به إلى الكتمان إلّا في بداية دعوته امتدادا لما هي عليه منذ عهد أبويْه، إبراهيم وإسماعيل، إذ عاشت القرون تتكتم الإيمان عن قومها، قريش، وتعبد اللهَ سرّا متطلعة لبزوغ نوره وقد تعاقب على تلك القلة أوصياء إبراهيم، كل يوصل لخلفه وصاياه حتى انتهى الدور إلى أعاظمهم: عبد

---

(٢) سورة الأعراف : ١٠١

(٣) سورة يونس

مناف فهاشم فعبد المطلب فأبي طالب (صلوات الله عليهم) وفي هذا البيت الطاهر تحققت دعوة إبراهيم وبشارة عيسى[٤] فوُلِدَ سيّد الكونيْن ﷺ وكان كتم آلِ إبراهيم لإيمانهم لا يُضاهيه شدّة إلّا كتمهم لخبر البشير المنتظر والذي مافتأ الرهبان والكهنة والاحبار يتحدثون به[٥]. وتجلّت صورة ذلك الكتمان حين أُمِرَ عبد المطلب (سلام الله عليه) في المنام بذبح أصغر ولده سناً وأحبّهم إليه وآثرهم عنده، سيّدِنا عبدِ اللهِ (سلام الله عليه)، الذي تَوَسَّمَ النبيَّ المنتظرَ في صُلْبِهِ. ولم يكن لعبد المطلب (سلام الله عليه) إلّا الاستسلام لأمر الله كما فعل جدّه إبراهيم من قبل إذْ أُمِرَ بذبح ولده إسماعيل فتلك منزلةُ أهل البيت (سلامُ الله عليهم). ولا يذكر التاريخ كيف عُلِّلَ قومُ إبراهيمَ عزمَه على ذبح ولده. أمّا في قصة الذبيح الثاني (سلام الله عليه)[٦] فقد زعموا انّ عبد المطلب (سلام الله عليه) نَذَرَ أنْ يذبح أحدَ ابنائه إنْ بلغوا عشرة فلما كان قارَعَ عليهم فَخَرَجَ على عبد الله فَهَمَّ بذبحه فحالَ دونه قومُهُ وحاكَموه إلى كاهنةٍ فاشارت بالمُقارعة عليه بالابل عشرا عشرا. ففعلوا فلما بلغوا المِائة خَرَجَتْ على الابل فذبحوها كما جاء ذلك في كتب التاريخ والسيرة كالطبقات الكبرى لابن سعد الواقدي والسِّيَرَ والمغازي لابن إسحاق[٧] مما يخالف صورته الحقيقية وما عرف عنه من حكمة وعلم وفطنة وكمال خلق[٨] فضلا عما هو عليه من إيمان وما ذاك إلا بسبب كتمه إيمانه وحقيقة منزلته كأحد أوصياء إبراهيم (سلام الله عليهما) وليس ادل على ذلك الكتمان من جهل أبي لهب واخيه عباس، وكلاهما كانا مشركين، كون ابيهما عبد المطلب

---

(٤) انظر ص٦٢.

(٥) سيأتيك باذنه حديث سيف بن ذي يزن وبحيرا والمؤمن النجاشي (رضوان الله عليه).

(٦) انظر ص٣٩.

(٧) انظر ج١ الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدي وج١ السير والمغازي لابن إسحاق.

(٨) انظر قول رسول الله ﷺ في جده عبد المطلب ص٣٧.

واخوتهما أبى طالب والحمزة وعبد الله (سلام الله عليهم) مؤمنين موحدين أهناف. ولذا كان ظنُّ أبي لهب وعباس عيْنَ ظنّ قريش في أنَّ علّةَ مُناصرة اخيهما أبى طالب (سلام الله عليه) لربيبه ﷺ هي الرَّحِمَ وفَرْطَ الحُبِّ كونه كافله ومُربيه خاصّة وان أبا طالب (سلام الله عليه) لم يُجاهر بأيمانه وعبادته ولم يَعِبْ آلهةَ قريش ولا سَفَّهَ أحلامَهم ولا انتقصَهم في ما بينهم ولا بمحْضَرٍ من الغرباء الذين كانوا يفِدون مكة للحجّ أو أداء النّذور أو التجارة ولم يذكر قريشا بسوء في رحلاته إلى الشام وغيرها ولا قارن بين ما يعبدون وما يعبد هو وربيبُه المصطفى ﷺ ولا سَخِرَ مِنْ عاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم ولا حتى من طوافهم بالبيت عرايا!! وكان (سلام الله عليه) يُشَكِّي قريشاً، فما جاءوه، وكم جاءوه، ليشكوا إليه ربيبه ﷺ، استمع لكل ما يقولون بكل اهتمام ثم يدعوه ويعرض عليه شكواهم. وحين يَرُدُّ رسولُ الله ﷺ علىٰ افتراءاتهم يُعلنُ أبو طالب (سلام الله عليه) تصديقَه لكلامِه ويَرُدُّهم رَداً جميلاً وقاطعاً. فكانت سيرتُه (سلام الله عليه) الحكيمةُ تلك لا تدع مجالاً للشكِّ في أنه إنما يُناصر ربيبَه ﷺ حُباً له وأداءً لحق أخيه عبد الله (سلام الله عليه) فيه وامتثالاً لوصايا أبيه عبدِ المطلب (سلام الله عليه) مهما بلغ في مُناصرته وجاهَرَ في تصديقه ولَمَّحَ إلى إيمانِه بما يدعو إليه بل حتى ولو بلغ حد التصريح كقوله (سلام الله عليه):

(يا شاهدَ اللهِ عَلَيَّ فَاشْهَدْ أنّي علىٰ دينِ النبيِّ أحمدْ مَنْ ضلَّ في الدين فاني مهتد)[9]

وكَتْمُ أبي طالب (سلام الله عليه) إيمانِه جَرّاً لأخويه، أبا لهبٍ وعباسَ، علىٰ تكذيب رسول الله ﷺ في بدء الدعوة[10] ثم بعد أنْ أجهر بها فكان أبو لهب يقول للناس: لا تطيعوه فانّه كذّاب. وإذا قَدِمَ غُرباء ليسألوا قريشاً عن الأمر جيء بهم لابى لهب فيقول: إنّا لم نزل نُعالجه من الجنونِ فيرجعِ الناس. وكان أبو لهب

---

(9) انظر ج١٤ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

(10) انظر ص٤٤.

وعباس إذا رأيا رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ الناسَ نادياهم: إنَّ ابنَ أخينا هذا كذّابٌ فلا يَفْتِنَكم عن دينِكم[11]. فلو عَلم أبو لهب وعباسٌ انّ عميدَ بني هاشم أبا طالب (سلام الله عليه) علىٰ دينِ آبن أخيهم ﷺ لما تجرا علىٰ فعل ما فعلا ولما قال أبو لهب لقريش حين سمعهم يتحدثون في مُناصرة أبى طالب (سلام الله عليه) ليتيمه ﷺ ويُنكرونها فقال (دَعوا عنكم هذا الشيخ فانّه مُغرمٌ بآبن أخيهِ. واللهِ لا يُقْتل مُحمّد حتى يُقْتل أبو طالب ولا يُقْتل أبو طالب حتى تُقْتل بنو هاشم ولا تُقْتل بنو هاشم كافةً حتى تُقْتل بنو عبد مناف ولا تُقْتل بنو عبدِ مناف حتى تُقْتل أهلُ مكةَ، فأَمْسِكوا عنه وإلّا مِلْنا معه) فخافتْ قُريش أن يفعل فكفّوا[12].

وجَهلُ قريش إيمانَ أبى طالب (سلام الله عليه) كان وراء مَجيئه والشّكوى مما يرون مِن ربيبه ﷺ حتى أنهم عرضوا عليه اعطاءه أحدَ فتيانِهم، عَمارةَ بن الوليد، ليتخذَه ربيباً ويُسلمَهم يتيمه ﷺ ونَعتوه بأنه (الذي قد خالفَك دينَك ودينَ ابائِك وفرّق جَماعة قومِكَ وسَفّه أحلامَهم) فردّهم أبو طالب (سلام الله عليه) بأنه ليس من العدل انْ يُسلموه إبنهم ليُربيه ويُسلمَهم إبنه ليقتلوه![13].

وجَهلُ قريش إيمانَ أبى طالب (سلام الله عليه) كان وراء قيام بعضهم بارسالِ المؤنَ خِفيةً إلى الشِّعْبِ الذي لَجأَ إليه برسولِ اللهِ ﷺ مع نَفَرٍ مِن بني هاشم ثم مُسارعةِ آخرين إلى نقْضِ صَحيفة المقاطعة[14].

ومرة أخرى، فلا عجب من جهل قريش إيمانَ أبى طالب (سلام الله عليه) بعد أن جهله المشركون من بني هاشم كأبى لهب وعباس وأدْعياء عبد مناف كالمُطعم بن عَدي بن نوفل والوليدِ بن عقبة وأضرابهم فضلا عن اتباعهم

---

(11) راجع مناقب آل أبي طالب للمازندراني.

(12) راجع ج1 سيرة ابن هشام، ج3 تاريخ ابن كثير، ج3 شرح نهج البلاغة.

(13) راجع ج1 السير والمغازي لابن إسحاق.

(14) انظر ص ٦٠ من كتابنا هذا.

وأحلافهم ومواليهم.وبقاؤهم على جهلهم ذاك لحين رحيله (سلام الله عليه) فهذا أخوه عباس يصغى إليه ساعة احتضاره (سلام الله عليه) ويقول لرسول الله ﷺ (والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة) ويعني بها الشهادتين![15].

وكان يؤكد (ان أبا طالب ما مات حتى أعطى رسولَ الله ﷺ من نفسه الرِّضا)[16] وكان عبدُ الله بن عباس يقول عن أبيه: ان أبا طالب (سلام الله عليه) شهد عند الموت أن لّا اله إلا الله وانّ محمداً رسولُ الله[17].

وكان أنْ سأل عباسٌ رسولَ الله ﷺ: ما ترجو لأبى طالب؟ فقال ﷺ: (كلَّ الخير أرجوه لعمي من ربي عز وجل)[18].

فإذا كان هذا شأن عباس في جهله إيمان أخيه (سلام الله عليه) فما ظنك بباقي بني عبد المطلب وبني المطلب وتابعيهم ومواليهم وحلفائهم وسائر قريش؟ وما ذاك إلا لشدّةِ كِتمانه إيمانه بتسديدٍ من الله وقد تابعَهُ على ذلك القلّةُ الموحدة من بقية آل إبراهيم (سلام الله عليهم) حتى أنّ رسولَ الله ﷺ ومنذ طفولته كان يعتزل الناس ليتعبّد في غار حراء حتى إذا كان في منتصف العقد الرابع من عمره الشريف راح يصحب معه ابنَ عمِّه عليَّ بنَ أبي طالب (سلام الله عليهما) ليتعبّدا معاً وظلا كذلك حتى جاء الوحيُ ثم الأمرُ بانذار عشيرته ثم بالأجهارِ بالدّعوة وحينئذ ظهرت الحاجةُ إلى ناصر يذبّ عنه عَبَثَ قريش وبطشَهم ومكرَهم وكيدَهم فكان سيّدنا ومولانا أبو طالب (سلام الله عليه) الناصرَ والمجيرَ والذّابَ والمدافعَ كأفضل ما يكون. ولو لم يكن أبو طالب (سلام الله عليه) قد كتم إيمانَه، شأنه شأن أبيه وجدّه لما استطاع الذّب عن رسولِ الله ﷺ وإذن لنابذته قبائل

---

(15) راجع ج1 تاريخ أبى الغدا و ج2 كشف الغمة للاربلي.

(16) راجع ج3 شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

(17) راجع ضياء العالمين لابي الحسن الفتوني.

(18) راجع ج1 طبقات ابن سعد، ج1 الخصايص لابن عساكر، التعظيم والمنه للسيوطي.

قريش كلّها جميعاً ومعهم اتباعُ بني هاشم وحلفاؤُهم ومواليهُم بل وحتى المشركين من بني هاشم كابي لهب وعباس وقومُهما ولما بقيَت معه غيرُ القلّة المؤمنة من بني هاشم فلا تستطيع مُناهضة الأكثرية السّاحقة الكافرة ولأتَتْ عليها تلك الاكثرية وأنْهَتْ أمْرَ الرّسالةِ والرسول صلى الله عليه وآله-والى هذه الحقيقة أشار أميرُ المؤمنين (سلام الله عليه) بقوله: (كان والله أبو طالب مؤمناً مسلماً كَتَمَ إيمانَهُ مخافةً على بني هاشم ان تُنابذها قريش)[19]. وأقرَّ بهذه الحقيقةِ عبدُ الحميد بن أبي الحديد المعتزلي أيّما إقرار إذ قال (لم يُظهر أبو طالب الإسلامَ ولم يُجاهر به لانه لو اظهره لم يتهيأ له من نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ما تَهيأ له، وكان كَواحدٍ من المسلمين الذين آتبعوه ولم يتمكن من نُصرته والقيام حينئذ وانما تمكّن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وانْ بطَنَ الإسلامَ كما لو ان انسانا كان يُبْطِنُ التشيعَ مثلا وهو في بلاد الكَرامية (المعروفين بعدائهم الشديدِ للشّيعة) وله في ذلك البلد وَجاهةٌ وقَنَعَ، وهو يُظهرُ مذهبَ الكرامية ويحفظُ ناموسَهُ بينهم، بذلك. وكان من وجوهِ ذلك البلد ورؤسائِه.فأنّ ذلك الإنسان ما دام على إظهار مذهب أهل ذلك البلد يكون اشدّ تمكّنا من المدافعة والمحاماة عن أولئك النفر. ولو اظهر التشيّعَ وكاشَفَ أهل البلد بذلك صار حُكمُه حكمَ واحدٍ من أولئك النفر ولَحِقَهُ من الأذى والضرر ما يلحقهم ولم يتمكن من الدفاع عنهم)[20].

ولا مِراء ولا جِدال في هذه الحقيقة التي اثبتها الكتاب المجيد في الحديث عن مؤمن آل فرعون (٢٨-٤٥ سورة المؤمن) الذي كان يكتم إيمانه ليستطيع الدفاع عن موسى والقلة المؤمنة به. وفي تلك الآيات تلميح بمنزلة مؤمن قريش أبي طالب (سلام الله عليه) اعقبه تصريح حين أوحى تعالى بالحديث القدسي لرسول الله صلى الله عليه وآله: (اني قد ايدتك بشيعتين: شيعةً تنصرُك سِرّا وشيعةً تنصرُك علانيةً: فاما

---

(١٩) راجع كتاب الحجة لابن معد.

(٢٠) راجع ج١٤ شرح نهج البلاغة.

الشيعة التي تنصرك سراً فسيدُهم وافضلُهم عمُّك أبو طالب وامّا الشيعة التي تنصرك علانيةً فسيدُهم وافضلُهم ابنه عليٌّ بن أبي طالب. وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يتكتّم إيمانَه)[٢١].

ولا مِراء ولا جدال في هذه الحقيقة التي كانت وراء وحي الله لنبيه ﷺ عَقِبَ موتِ عَمِّه (سلام الله عليه): (يا محمد اخرج من مكة فمالك بها ناصر بعد أبي طالب)[٢٢].

وقوله تعالى (فمالك بها ناصر) مع انه ﷺ لم يَعُد بوفاة عمه (سلام الله عليه) وحيداً في مكة فمعه الصفوة من أسود بني هاشم كعليٍّ والحمزة وطالب والحارث بن المطلب وبضعةٌ ممن أعلن إيمانَه، إنما هو مِصداق لتلك الحقيقة، حقيقة النصرة السرية المتمثلة بشيخ المؤمنين أبي طالب (سلام الله عليه) وان النصرة العلنية، المتمثلة بامير المؤمنين (سلام الله عليه) لم يكن قد آن أوانُها بعد، وان موعدها المدينة ومبدؤها في بدر.

وعند تَشْييعِ (سلامُ الله عليه) سَمِعَ المؤمنون رسولَ الله ﷺ وأميرَ المؤمنين والحمزةَ (سلام الله عليهم) يستغفرون له فقالوا (نحن نستغفر لموتانا وموتىٰ اقاربنا المشركين أيضا) وما ذاك إلا لجهلهم بايمان أبي طالب (سلام الله عليه) فكان ان نزل قوله تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربىٰ من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم- وما كان استغفار إبراهيم لابيه إلا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تَبرّأَ

---

(٢١) راجع ضياء العالمين للفتوني والحجة لابن معد.

(٢٢) ج٩ بحار الأنوار، ضياء العالمين للفتوني، ج٤ تفسير أبي الفتوح.

منه﴾[٢٣]. وكلمةُ (ما كان) نفيٌ تنزيهٍ وليستْ نَهياً فهي كما هي في قوله تعالى ﴿ ما كان لله ان يتخذَ من ولدٍ سبحانه ﴾[٢٤].

و(أَبُ إبراهيم) في الآية هو عَمُّه آزرُ، والاب تُطلق على الوالد وعلى العم، لا سيما وقد كفله بعد ان مات والده تارخ (سلام الله عليه) والذي كان، شأنه شأن اباء وامهات كل الأنبياء واوصيائهم، مؤمناً موحداً، ولذا كان دُعاء إبراهيم لوالديه (ربنا آغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)[٢٥]. أما عمُّه، آزر، فكان مشركاً ذَكَرَ الكتابُ محاجَجةَ إبراهيم له كقوله (واذ قال إبراهيم لابيه أتتخذ اصناماً الهةً اني اراكَ وقومَك في ضلالٍ مُبين)[٢٦]. وقوله تعالى (إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصرُ ولا يُغني عنك شيئا)[٢٧]. واذْ تَوَسَّمَ إبراهيمُ في ردِّ عمِّهِ الأملَ برجوعِهِ عن ضَلاله فقد وَعَدَه بقوله (سأَستغفرُ لك ربي)[٢٨]. ووفى فدعا ربه أنْ (آغفر لابي انّه كان من الضالين)[٢٩]. وحين جاءه الوحي بكذب آزر وبقائِه على الشّرك و(تَبيَّن له انّه عدوٌ للهِ تَبرّأَ منه)[٣٠].

إنَّ ذِكرَ آستغفارِ إبراهيم بعد قوله تعالى (ما كان للنبي..) تأكيدٌ على أنَّ آمتناعَ المؤمنين من الاستغفار لقرابتهم المشركين هو حُكْمٌ مُطَّرِدٌ في جميع الأمم وهو إقرارٌ لاستغفارِ رسولِ اللهِ ﷺ لعمِّه وفيه شهادةٌ ضِمْنيةٌ بإيمان عَمِّه، شهادةٌ

---

(٢٣) التوبة : ١٢٣-١٢٤.

(٢٤) مريم : ٣٥.

(٢٥) سورة إبراهيم /٤١.

(٢٦) الأنعام /٧٤.

(٢٧) مريم /٤١.

(٢٨) مريم / ٤٧.

(٢٩) الشعراء/٤٧.

(٣٠) التوبة/١٢٤.

تكرّستْ بتكرارِ استغفاره ﷺ لعمّه (سلام الله عليه) في مشاهدَ عديدةٍ لاحقةٍ في المدينةِ المنورة[٣١].

وكررها ﷺ بقوله لابن عمه عقيل ابن أبي طالب (سلام الله عليهما): (يا عقيل أنّي أحبك حُبيْن: حُبّ لقرابتك منّي وحُبّ لما علمته من حُبّ عمّي أبى طالب إياك)[٣٢]. فالناظرُ في تأكيده ﷺ على تمييزه لعقيل بالحُبّ لاشئ إلّا لحبّ عمّه الخاصّ به ثم في تلاوته قوله تعالى (لا تجدُ قَوْماً يؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ يُوادونَ مَنْ حادَ اللهَ ورَسُولَه وَلَوْ كانوا آباءَهُمْ أو أبْناءَهم أو إخْوانَهُمْ أو عَشيرَتَهُمْ)[٣٣]. يَجِدْ أنّه ﷺ إنّما وَثّقَ حُبّه لِعَقيلٍ (سلامُ اللهِ عليه) لأمْريْن: بيانٌ لمنزلَتِهِ وتوكيدُ إيمانِ عَمّهِ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) وهو ما فعله في اكثرَ منْ مُناسَبة[٣٤].

وقد تَجسّدَتْ للعيانِ حِكْمَةُ اللهِ في كَتْمِ أبي طالب (سلامُ الله عليه) لإيمانِهِ عَقِبَ وَفاتِهِ فقدْ تَجَرّأتْ قُريشٌ على القيامِ بما لمْ تجرؤْ على التّفكيرِ بهِ في حياتِهِ من إساءةٍ وأذىً وحَسْبُنا قَولُه ﷺ (ما نالتْ منّي قُريشٌ شَيئاً أكْرَهُهُ حتّى ماتَ عمّي أبو طالب)[٣٥]. فقدْ نَثَروا التّرابَ على رأسِهِ ﷺ وهو يُصلي بلْ إنّ أبا جَهْل جاءَهُ ليَطأَ على رَقَبته إلّا أنّه نَكَصَ على عَقِبَيْهِ فلما سُئِلَ قال حالَ بيني وبينَهُ خَنْدَقٌ منْ نارٍ. وَرَفَعَ العديدُ منْ طُغامِ قريشٍ، كأبي لَهَبٍ وأبي جَهْل، الحِجارةَ ليضربُوه

---

(٣١) انظر ص٣٨ وص ٦٠.

(٣٢) انظر ص٦٧

(٣٣) سورة المجادلة/٢٣.

(٣٤) انظر ص٦٥.

(٣٥) راجع ج١ تاريخ ابن عساكر، ج٢ المستدرك للحاكم، ج٢ تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج١ صفة الصفوة لابن الجوزي، ج١ السيرة الحلبية، اسنى المطالب، ج٧ فتح الباري للقسطلاني، ج٣ تاريخ ابن الكثير

وَهُوَ ساجدٌ فَبَسَتْ أَيْدَهُم. وجاءه ﷺ جماعةٌ ليقتلوه فإذا أيديهم مجموعةً إلى أعناقهم.

وَصَبَّتْ قُريشُ جامَ غضبها على المؤمنينَ والمسلمينَ فأمرهم رسولُ الله ﷺ بالهجرةِ إلى يثربَ. وحينَ اشتدّ عليه البلاءُ ذهبَ إلى ثقيفٍ بالطّائف يستجيرُ بساداتها فرفضوا أنْ يؤوه وتبعهُ سفهاؤهُم بالحجارةِ فعادَ إلى مكّة.

واخيراً اجتمعتْ رؤوس قريش فقرّروا انْ تختارَ كلُّ قبيلةٍ فارساً فيجتمعونَ لقتله ﷺ وهو نائمٌ فيذهبُ دمُهُ في القبائلِ ولا تستطيعَ هاشمُ منازعتهم جميعاً.

وجاءَ رسولَ اللهِ ﷺ الوحيُ بخبرِ المكيدةِ وبالأمرِ بالهجرةِ إلى يثربَ بعدْ انْ ينيمَ علياً في فراشِهِ وهذا ما كانَ ونجا رسولُ الله ﷺ.

فكان مبيتُ علي (سلامُ الله عليه) ثم خروجُهُ بالفواطم ونساءِ بني هاشم ونساءِ المؤمنين الّذين هجَروا مكةَ مِنْ قبلُ، إلى المدينة ثمّ خيبةُ الّذينَ بعثتهُم قريش خلفهُ مِنْ إرجاعِهِ إلى مكة كلُّ ذلك مما زادَ في موجدةِ قريش على أبي طالب فقد بدا جلياً أنّ ابنهُ قد حلّ محلّه في نصرةِ يتيمهِ ﷺ وكعّ قريشَ عنه وزادَ في سقمِ قريش ما طرقها مِنْ أنبائه ﷺ وما بلغهُ مِنْ مكانةٍ في أرضِ الهجرةِ وكيفَ يلازمهُ الصفوةُ مِنْ آلِ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليهم) والمؤمنون مِنَ الصّحابةِ ويفادونه مجسّدينَ الشّقَ الثاني مِنَ الحديثِ القدسي (أيّدتك بشيعتين). وتذكّرتْ قريشُ وصيّةَ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) إيّاها وهو على فراشِ الموت ونصحها بتصديقِ يتيمهِ ﷺ فرأتْ تحقّقَ مقدّمةِ ما حذّرها منهُ بقولهِ (كأني انظرُ إلى صعاليكِ العربِ وأهلِ الأطرافِ والمستضعفين مِنَ النّاسِ قد أجابوا دعوتهُ وصدّقوا كلمتهُ وعظّموا أمرهُ)[٣٦]. وذعرتْ قريشُ مِنْ تصوّرِ إمكانيةِ تحقّقِ ما يتبعَ ذلك مِنْ قوله (سلامُ اللهِ عليه) (فخاضَ بهمُ غمراتِ الموتِ وصارتْ رؤوساءِ قريش وصناديدها أذنابا

---

(٣٦) سياتي نص وصيته (سلام الله عليه) ص٦٤.

وَدُورُها خَراباً وَضُعَفاؤُها أرباباً وإذا أعْظَمُهُمْ عليهِ أحْوَجُهُم إليه) ولذا قَرَّرَتْ قريشُ الأخذ بزمام المبادرة لمهاجمة رسول الله (صَلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ) في عقر داره الجديدة لقتله واجتثاث دينه.... فكانت (بَدْرٌ).

وفي بَدْرٍ وما تبعها من معارك ومغازي تجسّدَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) في شخص ولده عليّ إذْ أعادَ الأبنُ لأذهانِ قريش ما نالها علىٰ يدِ الأبِ من قبل. وها هو يستميتُ في الدفاع عن نبيّ بني هاشم (صَلّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ) ويلقي بنفسه في لهوات الموت مستهيناً بجمع قريش مستصغراً شأنها مستخفاً بأبطالها مجندلاً لشيوخها وكبار فرسانها[٣٧].

ولئنْ شلّها بالأمس هتاف الأمير :

(فقلتُ لهُم اللهُ ربّي وناصري عَلىٰ كُلِّ باغٍ مِنْ لؤيٍ وغالبِ)

فقد زلزلتها اليوم تلاوة الأبن (إنْ تنصروا اللهَ ينصركم ويثبت أقدامكم).

---

(٣٧) وعما فعلَ ابنُ ابي طالب (سلام الله عليهما) فاسأل قريشاً وحلفائها فقد قتل في بدر ٣٥ فارسا فيهم الوليد بن عقبة والعاص بن سعيد ومطعم بن عدي وحنضلة بن ابي سفيان وعثمان ومالك اخوي طلحة بن عبيد الله وعميرَ عمه، وشارك في قتل آخرين سوى من جرحه ولاذ بالفرار.

وفي أحُد قتل بضعة وعشرين فيهم فارسهم طلحة بن ابي طلحة وابنه ابا سعيد واخوته خالدا ومخلدا وكلدة والأحلس.

وفي الاحزاب قتل عمرو بن ود وولدَه، ونوفلَ بن عبد الله ومنبه بن عثمان العبدري وهبيرةَ بن ابي هبيرة المخزومي.

وفي حُنين قاتل في وسط ٢٤ الف فارس قتل منهم ٤٠ فيهم فارسهم أبو جرول.

وفي غزوة ذات السلاسل قتلَ السّبعةَ الاشداءَ واولهم سعيد بن مالك العجلي.

وفي بني نَضير أطاح برؤوس فرسان اليهود مثل حطي بن اخطب وكعب بن الاشرف.

وفي بني المُصْطَلَق كان مالكٌ وابنهُ مِمن قتل. وفي خيبر قتلَ جِروالاً وذا الخمارِ وعنكبوتا. وفي الطائف قتل شهاب بن عبيس ونافع بن غيلان. وفي ليلة الهرير سمعت له ثلاثمائة تكبيرة قتل بكل واحدة مشركا.

ولسيرة علي (سلام الله عليه) في الحرب تحاشاه الفرسان وتواصت قريش خوفا منه وكان رسول الله (صلى الله عليه واله) يمده بن الكافرين.

كما فعل باهل الطائف واليمن (انظر كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل) كما هدد به قريشا فقال لممثلهم سهيل بن عمير: (يا معشر قريش لَتَنْتَهُنّ أو ليبعثن الله عليكم مَنْ يضربُ أعناقكم على الدين) (انظر صحيح الترمذي وتاريخ الخطيب البغدادي وكتاب فضائل الصحابة لابن سمد السمعاني).

وصار الابطال لا يأنفون من الفرار بين يدي ابن ابي طالب. ومَنْ يُقتل منهم بسيفه تتفاخر عشيرته أنْ قُتِلَ بسيف ابن ابي طالب (سلام الله عليهما)

ولا عجب أن أذل الكافرين سيف الابن المسلول فقد أذلهم من قبل سيف الأب وهو مغمد، وكأنه قد كتب على المشركين العيش في ذلة تحت ظلال سيوف آل أبي طالب... مشرعة أو مغمدة..أو يسلمون. !

لقد كان لمصائب قريش أن تهون عليها لولا الطامة الكبرى التي أذلتها والفاقرة التي قصمتها حين أذاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقيقة أن عمه أبا طالب (سلام الله عليه) ما كان يوماً على دين قريش.... أو بعض يوم! وإن شأنه شأن آبائه (سلام الله عليهم) والصفوة من بني هاشم، حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين.

وأنه (صلى الله عليه وآله) حين بعث كان أبو طالب وزوجه فاطمة بنت أسد وولده طالب وعقيل وجعفر وأخوه الحمزة (سلام الله عليهم) أول المؤمنين بعد علي والصديقة خديجة الكبرى، بالرسالة الخاتمة وإنما كتم (سلام الله عليه) إيمانه بتسديد من الله.

الذي اصْطَفاهُ لِيَكْفِلَ سَيِّدَ الخَلْقِ ﷺ، لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مَنْعِ أَذى قُرَيْشٍ مِنْ أَنْ يَصِلَ إليهِ وَرَدِّ كَيْدِها مِنْ أَنْ يَحولَ دُونَ تَبليغِهِ رِسالَةَ رَبِّهِ.

وعندها أَدْرَكَتْ قريشٌ أَنَّه لَمْ تَكُنْ القَرابةُ والرَّحِمُ وَراءَ كَلاءَةِ أَبي طالبٍ لابْنِ أَخيه ﷺ وداعيةَ اسْتِماتَتِهِ في نُصْرتِهِ واسْتِعدادِهِ للتَّضْحيةِ بكُلِّ شَيءٍ في سَبيلِهِ. وَصُعِقَتْ قريش كيفَ انَّها كانت في غَفلةٍ منْ هذا مَعَ أنّها شاهَدَتْ كيفَ نابَذَ أبو طالب أَخَوَيْه، أبا لهبٍ وعبّاسَ، وَجِلَّ قَراباتِهِ مِنْ بني عَبْدِ مَناف وحلفاءَهم ومواليهم وباقي قريش والعربَ بسَبَبِ تكذيبهم لِدَعْوى يتيمه ﷺ!.

ورأتْ قُريش كيف أنه (سلامُ اللهِ عليه) كادَ يأتي على رؤوسِ قومِهِ يومَ افْتَقَدَ يتيمَه(٣٨). ورأتْ قُريش كيفَ فَعَلَ (سلامُ اللهِ عليه) بِكُبَرائِها يومَ سَوَّلَ لَهُمْ حَظُّهُمُ المَكْودُ السُّخْرِيَةَ مِنْ ذلكَ اليتيم!! (انظر ص٥٠).

ورأتْ قُريش كيفَ أنه (سلامُ اللهِ عليه) لَجَأَ إلى شِعْبِهِ، مع الصَّفْوةِ مِنْ بني هاشم وتحمَّلوا فيه مُعاناةَ حِصارِ قُريش لهم ثلاثَ سنين أو اكثر حين بَلَغَهُ أن قُريشا تمكرُ لاغْتيالِ يتيمِهِ ذاك ﷺ وَبَلَغَها قولُه لِمَنْ دَخَلَ مَعَه الشِّعْبَ (واللهِ لَئِنْ شاكَتْ مُحمّداً شَوْكَةٌ لأَتِيَنَّ عَليكُمْ جَميعاً) وكيفَ إنه كانَ وَلِخَوفِهِ على رَبيبِهِ ﷺ مِنَ القَتْلِ يُنيمُ كُلَّ ليلةٍ واحداً منْ أَولادِهِ في مَضْجَعِهِ ﷺ مُعَرِّضاً إياهُم لِلْقَتل!!!.

فكيفَ غَفِلَتْ قُريش عَمّا وراءَ كُلِّ ذلك؟ وهَل ثَمَّةَ ذو عَقْلٍ يُعَلِّلُ سيرَةَ أبي طالبٍ (سَلامُ اللهِ عليه) مَعَ ابْنِ أَخيه ﷺ بِأَصْرَةِ قَرابَةٍ أَوْ مَساسَةِ رَحِمٍ أَوْ حُبِّ ابْنِ أَخٍ أَوْ عَطْفٍ على يَتيم؟!.

ثم كيفَ غَفِلَتْ قريش عن دينِ أَبي طالبٍ (سَلامُ اللهِ عَليه) وهُتافُه مُلأَ آفاقِ السَّمواتِ والأرضِ يَشي بما هُوَ عليه مِنْ حَقِّ يَقينٍ بِرِسالَةِ رَبيبه ﷺ إِذْ يُخاطِبُه:

---

(٣٨) انظر ص٥٠

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ

ويصفه بقوله:

وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ رَسُولُ الْإِلَهِ عَلَى فَتْرَةٍ

وبقوله:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْساً ووالِداً إِذَا عُدَّ سَاداتُ البَرِيَّةِ أَحْمَدُ

وبقوله:

فَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللهِ فِينَا مُصَدَّقاً عَلَى سَاخِطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبِ

ويشهد له:

نَبِيُّ الإِلَهِ والكَرِيمُ بِأَصْلِهِ وأَخلاقِهِ وهوَ الرَّشِيدُ المؤيَّدُ

وأنه: نَبِيٌّ أَتَاهُ الوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَمَنْ قَالَ: لَا يُقْرَعْ بِهَا سِنُّ نَادِمِ

وبقوله

حَمَيْتُ الرَّسُولَ رَسُولَ الإِلَهِ بِبِيضٍ تَلَأْلَأُ مِثْلَ البُرُوقِ

وبقوله: يَا شَاهِدَ اللهِ عَلَيَّ اشْهَدْ إِنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدْ

مَنْ ضَلَّ فِي الدِّينِ فَانِي مُهْتَدْ

وبقوله: واللهِ لَا أَخْذُلُ النَّبِيَّ ولَا يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِيَّ ذُو حَسَبِ

ويصفُ ما يدعو إليه (ولقدْ عَلِمتُ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أديانِ البَريةِ دينا)

ويُخاطبُ بني هاشم (قَدْ أتاكُمْ مِنَ المليكِ رسولٌ فاقبلوهُ بصالحِ الأعْمالِ)

ويخصُّ الحَمْزةَ بقولهِ (فقد سَرَّني إذْ بُحْتَ أنكَ مُؤمنٌ فكُنْ لِرسولِ اللهِ في اللهِ ناصِرا)

ويُخاطب النَّجاشيَّ (لِيَعْلَمْ خِيارَ النَّاسِ أنَّ مُحمَّداً نبيٌّ كَموسى والمسيحِ ابْنِ مَرْيَمَ)

ويُخاطبُ قُريشا (أَلَمْ تَعْلَموا أنَّا وَجَدْنا مُحَمَّداً رَسولاً كَموسى خُطَّ في أوَّلِ الكُتُبِ)

ويقولُ (أَوْ تُؤمِنوا بكتابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ على نَبيٍ كَموسى أَوْ كَذِي النُّونِ)

ويؤكد (ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل)

وهذا غيض من فيض مما سمعته قريش، فكيف فرضت أنه (سلام الله عليه) لم يكن جاداً في كل ما قال؟ وهل عرفوا عنه الهزل في بعض ما فعل؟ وهل خبروا فيه اللعب؟ وما لهاشم واللعب!؟ وهل خلقت هاشم لغير السيف والجود والقلم؟؟

لقد أعطى أبو طالب (سلام الله عليه) قريشاً، في كل ما قال وفعل، الدليل على كمال إيمانه وتمام يقينه وهي في غفلة منه وما ذاك إلا لشدة كتمه إيمانه وما ألهمه ربه من حلم وحكمة تتناسب وماله من منزلة عند الله ورسوله ﷺ وما له من أيدي في حفظ دين الله لا يكافيها إلا ما لابنه من ايدي في نشره.

لقد أدركت قريش بعد أن شاع كشف رسول الله ﷺ إيمان عمه (سلام الله عليه) ممن يجب أن تثأر لكل ما لحق بها من عار لا سيما بعد هزائمها المشينة والمتلاحقة في حروبها معه ﷺ.

فما كسر ناموسها وحط قدرها وحجم مكانتها في أعين الناس غير أبي طالب:

وما اذلها واسقط هيبتها وعلا بأخمصه كبرياءها غيره.

وما جرأ عليها مواليها وعبيدها وإماءها غيره

وما وترها في شيوخها وأبطالها وفتيانها غيره

والذي فعله رسول الله ﷺ إنما فعله يتيم أبي طالب

وعلي وطالب وجعفر وعقيل هم بنوه

والحمزة أخوه.. وكل هاشمي... إنما هو واحد من آل أبي طالب فلولا أبو طالب.. ما كان هؤلاء في مواجهة قريش.. ولما تجرأوا على فعل ما فعلوه.. وإنما جرأهم عميدهم، أبو طالب، فهو ثأر قريش.. ثأرها المنيم[٣٩].

---

(٣٩) الثار المنيم : الثأر الكامل الذي بادراكه تنام رغدا.

ولكنْ.. كيفَ السبيلُ إلىٰ الثأرِ وقدْ رَحَلَ؟

لقد أُحْنَقَ قريشا، بعدَ رحيلِ أبي طالبٍ، أَسَفُها بقدرِ ما أذلَّها وجودُه ولا عُجابٌ لذلك الذّلِ ولا رُقْيَةَ لذلك الأَسَفِ إلاّ بالانتقامِ خاصّةً بعد اضطرارها أفراداً وقبائلَ وجماعاتٍ إلىٰ الامتناعِ بالإسلام مِنْ سَيفِ ابنِ أبي طالب[٤٠]. وأنكاها يومَ فتحِ مكةَ في رمضان من العام الثامن للهجرة، يوم لم يعد أحدٌ مِنَ المشركين إلاّ وتظاهرَ بالإسلام حتّى كبيرُهم أبو سفيان، يوم اتسعتْ جَبهةُ المنافقين فباتَ عددُ المؤمنينَ نسبةً إليهم لا يُذْكَر.

فكان لا بد لقريش انْ تشفي صدرَها فاوعزتْ إلى أحد أراذلِها ممّنْ كان في إسْلامِهِ شَراً مِنهُ في جاهليّتِهِ، ذلك هو المغيرةُ بنُ شُعبة فوَضَعَ اللّعينُ أفيكةَ (الضّحْضاح) التي تَوَسّلَ بها إلىٰ إنكارِ إيمانِ شيخِ المؤمنينَ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) طَعْناً فيه ومَنْقَصَةً لولَدِهِ وتكذيباً ليتيمِهِ (صلواتُ اللهِ عليهم وآلِهم أجمعين).

وَلَبِئْسَ ما سَعىٰ لَهُ المُغيرةُ... ولنعما ما كان!

فشأنُ المغيرة، شأنُ مَنْ سَبقوه وشأنُ مَنْ تابعوه (يَمْكُرونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرينَ)[٤١].

وسيأتيك نبأُه بعدَ حين!

---

(٤٠) انظر ما مر في ص١٧ بشأن وصية أبي طالب (سلام الله عليه).

(٤١) سورة الأنفال/٣٠.

شَيْخُ المُؤْمنينَ (سَلامُ اللهِ عليه)

يـــا شَـــيْخاً آمَـــنَ وَبِأيمـــا ... نـــهِ نـــالَ الرِّضْـــوانَ الأَكْـــبَرْ
يـــا غَـــوْثَ المَلْـــهُوفِ وَيـــا حِصْـــ ... ـــنَ اللاّجـــي وَمُجيـــبَ المُضْطَـــرْ
يـــا كـــافِلَ أَحْمَـــدَ وَكفـــى بـــهِ ... مَجْـــداً وَفَخـــاراً لا يُنْكَـــرْ
خَصَّـــكَ بـــهِ مَـــنْ يَعْلَـــمُ أَنَّـــ ... ـــكَ بـــهِ أَوْلى وَأَحَـــقُّ وَأَجْـــدَرْ
إِذْ مـــا كـــانَ لِيُؤْثِـــرَ بـــهِ إِ ... لاّ مَـــنْ بِفَواضِلِـــهِ آسْـــتَأْثَرْ
يـــا كَـــهْفَ الدّارَيْـــنِ وَيـــا ذُخْـــرَ ... الدُّنْيـــا وَشَـــفيعَ المَحْشَـــرْ
مـــا جـــانَبَ سُـــبُلَ الغَـــيِّ ولا ... آمَـــنَ بِـــاللهِ وَلا آسْـــتَبْصَرْ
مَـــنْ شَـــكَّ بِإيمـــانِكَ يـــا سَـــيِّدي ... يـــا مَـــوْلايَ أَبـــا حَيْـــدَرْ
فَـــهُوَ كَمَـــنْ شَـــكَّ بِكُفْـــرِ زُرَيْـــقٍ ... الرِّجْـــسِ وَصاحِبِـــهِ حَبْـــتَرْ[٤٢]
شَـــيْخَيْ سَـــوْءٍ لَهُمـــا يُعْـــزى ... مـــا عَـــمَّ الأَرْضَ مِـــنَ المُنْكَـــرْ
مـــا آقْتَـــرَفَ بَنـــو هِنْـــدٍ وَسُمَيَّـــةَ ... وَبَنـــو مَـــرْوان وَالأَبْـــتَرْ
وَبَنـــو العَبّـــاسِ وَبَنـــو عُثْـــ ... ـــمـــانَ وَأَضْرابُـــهُمُ مِـــنْ شَـــرْ
إِلاّ وَلِمَـــنْ سَـــنّا لَهُمـــا ... ذٰلِـــكَ مِنْـــهُ الحَـــظُّ الأَوْفَـــرْ
فَذُنـــوبُ الثَّقَلَـــيْنِ بِجَـــانِبِ ... مـــا آقْتَرَفـــا لَمَمٌ لا يُذْكَـــرْ[٤٣]

---

(٤٢) زريق وحبتر: الجبت والطاغوت.

(٤٣) الثقلين: الانس والجن. اللمم: القليل

الفصل الثاني

في انتظارِ
بُزوغِ نُورِ يَتيمِ أَبي طالب
(صَلّى اللّهُ عَليهِ وآلِه)

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ

(٣٦) رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾

النور / ٣٦ - ٣٧

تناقلَ الأنبياءُ واوصياؤُهم بشارةَ مولدِ رسولِ الله ﷺ واحداً إثرَ واحد. فمنذُ انْ تلقّىٰ ادمُ مِنْ ربّهِ الكلماتِ التي توسّلَ بها إليهِ فتابَ عليه بكرامةِ المسمّونَ بها، محمّدٍ وآلهِ ﷺ [1]. والّذي اُخذَ اللهُ ميثاقَ انبيائهِ عليه[2]، وحتّى كانتْ بشارةُ عيسى[3].

وكان ابتلاءُ إبراهيمَ وتسليمُهُ لِما أُمِرَ به في المنامِ مِنْ ذبْحِ اُعزِ وُلْدِهِ إسماعيل[4] أهلّهُ لمنزلةِ الامامة[5] فاجتمعَ فيه نورُ النبوّةِ والامامةِ فما زالا ينتقلانِ مِنَ الاصلابِ الطّاهرةِ إلى الارحامِ الزكيّةِ مِنْ ذريّته[6] حتّى كانا في الأدْنَيْنِ مِنْ آباءِ رسولِ الله ﷺ عبدِ مَنافٍ فهاشِمٍ فعبدِ المُطّلبْ (سلامُ اللهِ عليهم) ومنهُ افترقا في ولديْه عبدِ اللهِ وأبي طالب (سلامُ الله عليهما)[7] فاستودَعاهُما آمنةَ بنتَ وَهَبٍ وفاطمةَ بنتَ أسدٍ (سلامُ اللهِ عليهم)[8] فتجسّد نورُ النبوةِ برسولِ الله ﷺ

---

(1) قوله تعالى (فتلقّىٰ آدمُ مِنْ ربّهِ كلماتٍ فتابَ عليه) البقرة/٣٧ انظر ج١ الدر المنثور للسيوطي وفرايد السمطين للجويني والينابيع للقندوزي والمناقب للخوارزمي.

(2) قوله تعال: (واذْ اخذَ اللهُ ميثاقَ النبيّينَ لَما آتيتُكُمْ مِنْ كتابٍ وحِكْمَةٍ ثُمّ جاءَكُمْ رسولٌ مُصَدِّقٌ لِما معكُمْ لتؤمِنُنّ بهِ ولتَنْصُرُنّه) آل عمران/٨١.

(3) قوله تعالى (.. ومُبَشِراً برسولٍ يأتي مِنْ بَعْدي اسْمُهُ أحْمَد) الصف/٦

(4) قوله تعالى: (.. يا بُنَيَّ إنّي أرىٰ في المنامِ أنّي أذْبَحُكَ..) الصافات: ١٠٢-١٠٨.

(5) قوله تعالى: (واذْ ابتلىٰ إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتَمّهُنّ قالَ إنّي جاعِلُكَ للنّاسِ إماماً) البقرة/١٢٤.

(6) قوله تعالى: (وجَعَلَها كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ لعلّهُمْ يرجِعون) الزخرف/٢٨.

(7) قال الامام الصادق (سلامُ اللهِ عليه) (خلقَ اللهُ مِنْ نورهِ محمّداً وعلياً فلَما يزالا نوريْن اوّلَيْن إذْ لاشيءَ كوّنَ قبلَهما ولَمْ يزالا يجريانِ طاهريْنِ مُطهّريْنِ في الاصْلابِ الطّاهرةِ حتّى افترقا في أطهرِ طاهريْن: عبدِ اللهِ وابي طالب)

(8) قال ﷺ (انّ اللهَ خلقَ علياً مِنْ نوري وخلقَني مِنْ نورهِ وكلانا مِنْ نورٍ واحدٍ نقلَنا مِنْ صُلْبِ آدمَ ومِنْ اصلابٍ طاهرةٍ إلى ارحامٍ زكيةٍ فما نُقلتُ مِنْ صُلْبٍ إلّا ونُقلَ عليٌّ معي فلم =

كما دَعا جَدُّهُ الخليلُ مِنْ قَبلُ[9] ولِذا قالَ ﷺ (أنا دَعْوَةُ إبراهيمَ وَبِشارَةُ عِيسى)[10].

وكما تَناقَلَ أوصياءُ إبراهيمَ نورَ النُّبوةِ والأُمامةِ تَناقلوا وَصاياهُما حتّى كانَتا في خِتامِ أوصيائه، سَيِّدِنا ومولانا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه)[11] فَسَلَّمَها قبلَ وفاتِهِ لِرَبيبِهِ المُصْطَفى ﷺ [12].

وحتى قُبَيْلَ بعثةِ ابنِ آمنة ﷺ كانَ بَقِيَّةُ آلِ إبراهيمَ مِنْ بَني هاشِم، باستثناء بَيْتَيْ أبي لهب وعَباس، مُؤمِنينَ مُوَحِّدينَ على الدّيانة الأبْراهيميةِ الحنيفيةِ يَعْبدون اللهَ سِرّاً إذْ باقي قومِهِمْ مُشركون. وكانَ لُجوؤُهُم للسِّريةِ حِفاظاً على دينِهِم وأبقاءً للرّوابطِ الأُسريةِ والعَشائريةِ التّي تَشدُّهُم بباقي قُريش واتقاءً لأسْبابِ الفُرقةِ والعُزلةِ والتزاماً بأمرِ اللهِ وانتظاراً لأمْرِ اللهِ بالجَهْرِ وارتقاباً لِبعثةِ ابنِهِم المُصْطَفى ﷺ. وكانَ تَكَتُّمُهُمْ مِنَ الشِّدةِ حتّى لَمْ يَشُكَّ أحدٌ مِنْ قومِهم في كَوْنِهِم على دينِهم دينِ الجاهِليةِ وأنّ سُمُوَّ منزلتِهِم ورِفْعةَ شأنِهِم مَرَدُّهُ مَناقِبُهُم وفَضاءلُهُم وفَواضِلُهُم المُتَجَسِّدةِ في أياديهم لدى قومِهِم. فالقومُ غافلينَ عنْ سِرِّ النُّبوّةِ

نَزَلْ كذلك حتّى استودَعني خيرَ رَحِمٍ: آمنةَ بنتَ وهبٍ واستودَعَ علياً خيرَ رَحِمٍ: فاطمةَ بنتَ أسد).

(9) (رَبّنا وابعَثْ فيهِمْ رَسولاً مِنْهُم يتلوا عَليْهِم آياتِكَ) البقرة/١٢٩.

(10) انظر تاريخ اليعقوبي /ج١.

(11) سُئِلَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه): مَنْ كانَ آخرَ الأوصياءِ قَبلَ رَسولِ اللهِ ﷺ فقال (أبي).

(12) قال الامامُ الكاظمُ (سلامُ اللهِ عليه): (كانَ أبو طالب مُسْتَوْدَعاً لِلوَصايا فَدَفَعَها لرسولِ اللهِ ﷺ قُبَيْلَ مَوْتِهِ) انظر الكافي للكليني.

المتوارث في بني هاشم والذي كان نوره القدسي يتجلى في وجوههم للمؤمنين الموحدين فقط[١٣].

فعبد المطلب (سيد قريش غير مدافع قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً)[١٤] وزاد منزلته جلاء حفر بئر زمزم وهي بئر حفرها جده إسماعيل ليستقي منها حجاج بيت الله لكنها دفنت من بعده ولم تزل كذلك حتى أتي عبد المطلب[١٥] وأمر بحفرها وبين له موضعها.

وحاولت قريش منعه لأن الموقع يتوسط صنمي قريش، أساف ونائلة، لكن قريش خضعت لما رأت من عزمه (سلام الله عليه) فحفرها فبان البئر بمائه العذب فعندها قالت قريش: إن لنا لحق فيها معك أنها بئر أبينا إسماعيل. فقال عبد المطلب (ما هي لكم لقد خصصت بها دونكم) فقالوا: فحاكمنا. فقال:(نعم) فقالوا: بيننا وبينك كاهنة بني سعد بن هذيم، وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب في نفر من أهله وركب من كل بطن من قريش نفر. وفي الطريق نفذ ماء عبد المطلب وصحبه فاستسقوا القوم فرفضوا. حتى إذا استيأس صحب عبد المطلب أوحي إليه أن اضرب برجلك الأرض ففعل فانفجرت عين بماء عذب فشربوا واستقوا ودعوا قريشاً: هلموا إلى الماء. فجاؤوا فاستقوا ثم قالوا (يا عبد المطلب، قد والله قضي لك، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم. إنطلق فهي لك فما نحن بمخاصميك)[١٦].

---

(١٣) كما حدث لسيف بن ذي يزن (رحمه الله) وبحيرا والملك النجاشي (رحمه الله) وسيأتيك خبرهم لاحقاً.

(١٤) انظر تاريخ اليعقوبي /ج١.

(١٥) أتي: جيء في المنام كما حصل لأبراهيم في أمر ذبح إسماعيل.

(١٦) ج١ السير والمغازي لابن إسحاق.

وكان سيدنا عبد المطلب (سلام الله عليه) كسلفه من ورثة إبراهيم، يتشوق لأمر النبي الخاتم ﷺ في ولده خاص بعد أن رأى في المنام شجرة نبتت على ظهره بلغت السماء وضربت جذورها في الشرق والغرب ونورها اعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً وقالت في تأويله كاهنة قريش: ليخرجن من صلبك نبي تذل له الشرق والغرب[17]. ورأى في رؤيا أخرى أن سلسلة خرجت من ظهره بأربعة فروع للسماء والأرض والشرق والغرب ولها ورق وثمر استظل بها هو وإبراهيم ونوح وفسرها كاهن بولادة نبي من صلبه[18].

ورأى ابنه عباس أن طائراً خرج من أنف أخيه عبد الله (سلام الله عليه) وطار وبلغ الشرق والغرب ثم حط على الكعبة فقالت كاهنة بني مخزوم: ليخرجن من صلب عبد الله نبي يملك المشرق والمغرب[19]. وخوطب عبد المطلب في المنام (ابشر يا شيبة الحمد بعظيم المجد باكرم ولد مفتاح الرشد ليس للأرض منه بد). وفي تلك الرؤى، وبعد اكثر من أربعة عقود، قال سيدنا أبو طالب (سلام الله عليه) أيام الحصار في الشعب في قصيدة إلى قريش يمدح فيها ربيبه ﷺ:

ولا شك أن الله رافع ذكره ... ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

كما قد أوري في اليوم والامس جده ... ووالده رؤياهما غير آفل[20]

وتحقق حلم عبد المطلب بمولد عبد الله (سلام الله عليهما) لكنه لم يلبث أن ابتلي بما ابتلي به جده الخليل من قبل إذ أمر أن يذبح أحب ولده إليه. وحزن كما حزن فان نور النبوة الخاتمة تجلى في وجه عبد الله (سلام الله عليه) كما تجلى في وجه جده إسماعيل. وأذعن عبد المطلب لأمر الله كما أذعن إبراهيم فلما أسلما

---

(17) شرف المصطفى للخركوشي.

(18) المصدر السابق.

(19) أعلام النبوة للماوردي.

(20) راجع ص٥٩

وَتَلَهُ لِلْجَبِينِ نُودِيَ أَنْ (يا عَبْدَ المطلب قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤيا) وأُمِرَ أنْ يُقارع عليه بالإبل عَشْراً عشراً ففعلَ فَخَرَجَ السَّهمُ على مِائةِ بعيرٍ فَنُحِرَتْ ثم نُودي في النّاس (هَلِمّوا لِفدْيةِ عَبدِ اللهِ) وَتُرِكتْ لا يُصَدُّ عنها أحدٌ والى هذهِ الواقعةِ أشارَ رسولُ اللهِ ﷺ فيما بعد بقوله (أنا ابنُ الذّبيحين)[٢١].

ولا يَجدُرُ بالمؤمنِ الغفلةُ عن فَسادِ أُحْدوثةِ القصّةِ الموضوعةِ لِلنّذرِ الوهمي للتّعميةِ على حَقيقةِ ما وراء عَزْمِ عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) على ذَبحِ ابنه حيثُ زَعموا أنّ عبدَ المطلب نَذَرَ إنْ بلَغَ وُلْدُهُ العشرةَ أنْ يذبحَ أحدَهم وبَلغوا ذلكَ بِولادةِ عبدِ اللهِ فقارَعَ بينَهم فَخَرَجَ السَّهمُ على عبدِ اللهِ فجاء به ليذبَحه على النُّصُبِ بين صَنَمَيْ أُساف ونائلة فحالتْ قريشُ بينَه وبين ما أراد وقالوا: واللهِ لا تَذْبحُه أبداً ونحن أحياءٌ حتى نُعذرَ فيه. لَئِنْ فعلتَ هذا لا يَزالُ رجلٌ يأتي بابنهِ حتّى يذبَحَه! فما بقاءُ النّاسِ على ذلك؟! ثمّ حاكَموه إلى كاهنةِ الحجاز وتُدعى نجاح وكانت في خيبر فأشارتْ بالمقارعةِ عليه بالإبل عشراً عشراً ففعلوا حتى خرج السّهمُ على المائةِ بعير فذبحوها ونجا عبدُ اللهِ! والتّدليس في هذه الأكذوبةِ بيّنٌ. فما ألِفَتْ قريشٌ ولا العربُ ولا غيرُهم النذرَ بِذبحِ آدميٍّ ولو كان عبداً مملوكاً فكيف بالابن؟! وقد أقرّ واضعوا تلكَ الأفيكةِ بهذهِ الحقيقةِ في أنكارِ قريشٍ المزعومِ على عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه)[٢٢].

وعبدُ المطلب (سلامُ الله عليه) لا خِلافَ فيما كان عليه مِنْ عِلْمٍ وحِكْمَةٍ وكَمالٍ في العقل والخُلُقِ أهّلَهُ لزعامةِ بني هاشم خاصّةً وقريش والعرب عامةً وَحَسْبُهُ شَهادةُ حَفيدِهِ المُصطفى ﷺ (إنّ اللهَ يبعثُ جدّي عبدَ المطلبِ أمةً واحدةً

---

(٢١) راجع غاية المسؤول في سيرة الرسول

(٢٢) ج١ المغازي والسير لابن إسحاق/ ج١ طبقات ابن سعد، ج١ تاريخ اليعقوبي، ج١ السيرة النبوية لابن هشام.

في هيئةِ الأنبياءِ وزيِّ الملوكِ)[٢٣]. أفيصْدُرُ عن مِثْلِهِ مثْلُ هذا النَّذرِ المشينُ والذي لا يدلُّ إلاّ على سَفاهةٍ وحُمْقٍ وقَسْوةِ قلبٍ وتحجُّرِ مَشاعرٍ حتى يَضْطرُ قومُهُ لِمنعِهِ من الوفاءِ به؟ فيكونُ أولئكَ اكثرَ منه علماً وحِكمةً وأبعدَ فطنةً وخبرةً واوفرَ حظاً في الرَّحمةِ والرَّأفةِ؟!

وأنّى يكونُ ذلك وحَفيدُهُ ﷺ يحتجُّ على القومِ فيقولُ (أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ أنا آبنُ عبدِ المُطلب) تبياناً لمنزلةِ عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) الّتي أهَّلتهُ ليكونَ أباً لخاتمِ الأنبياء ﷺ. فإذا كان آباءُ وأمهاتُ جميع الأنبياءِ وأوصيائِهم مُوحِّدينَ مُؤمنينَ وآباؤهُم ساداتِ أقوامِهِم والمتقدمينَ عليهم في كلِّ مَنقبةٍ وفضْلٍ فكيف بمنْ هو أبٌ لسيِّد الكائناتِ مِنْ مَلَكٍ وجِنٍ وأنْسٍ بما فيهم منْ أنبياءٍ وأوْصياء!! ثم كيف تستقيمُ مَهْزأةُ النَّذرِ المزعومِ مع مَقولَةِ رسولِ الله ﷺ مُتفاخراً: (أنا آبنُ الذَّبيحَيْن) مُلمِّحاً أنَّ وراءَ الواقعتيْنِ وَحْيٌ واحدٌ مُرادُهُ كشفُ صِدْقِ مقْعَدِ المُبتَلَيْنِ بالأمْرِ، الخليلِ وحَفيدِهِ عبدِ المطلب، وبيانُ عظَمةِ المُفْدَيَيْن، إسماعيلَ وعبدِ الله وعِلّة كلِّ ذلك أنَّ الحبيبَ المصطفى ﷺ في صُلبهما؟.

وحينَ بَلَغَ عبدُ الله (سلامُ اللهِ عليه) سِنَّ الزّواج عَرَضَتْ عليه الزّواجَ فتاةٌ/ قيلَ أنَّها أختُ وَرَقَةِ بنِ نوفل/ على أنْ تَهَبَ له مِائةَ ناقةٍ فرفَضَ[٢٤]. وزوَّجَهُ أبوهُ سَيِّدَةَ نساءِ عالَمِها الصِّدِّيقةَ آمنةَ (سلامُ اللهِ عليها) ابنةَ سيدِ بني زُهْرة نَسَباً وشرفاً وهبِ آبنِ عبدِ مَنافِ بنِ زُهرة فحملت بِعِلّةِ الأيجادِ أبي الزَّهْراءِ ﷺ.

---

(٢٣) راجع ج٢ تاريخ اليعقوبي.

(٢٤) انظر ج١ السير والمغازي، ج١ سيرة ابن هشام، ذخاير العقبى للطبري.وقد أجمع المؤرخون إنما كان وراء عرض تلك المرأة الزواج على عبدِ الله عِلْمُها بأنّه والدُ النبيِّ المنتظرِ فتطلعتْ ان تكون له أماً. وهذه الواقعة وعشرات غيرُها تُظهر أنّ خبر مولد يتيمِ أبي طالب ﷺ قد سبق زمانه بعقود بل بقرون.

وَقَدِمَ أبْرَهَةُ بنُ الصَّباح من الحبشةِ لهدمِ الكعبةِ بجيشٍ جَرّار تَصْحَبُهُ فيلة ففرَّتْ قريش مِنْ مكة ولم يتمكّن عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) مِنْ اقناعِها بالبقاء لمُقاتَلةِ الغازي ولاذتْ برؤوسِ الجبال فقال (سلامُ اللهِ عليه) (لا أبرحُ عنْ حَرَمِ اللهِ ولا أعوذُ إلا باللهِ) وَعَزَمَ على البقاء في مكةَ وقتالَ الغُزاةَ بمن مَّعه منْ بني هاشم.

وأُخذ أصحابُ أبرهةَ إبلاً لعبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) فَذَهَبَ إلى أبرهةَ فاستاذن فقيل لأبرَهَة: قد آتاك سيدُ العربِ وعظيمُ قريشِ وشريفُ الناسِ. فلما دخل عليه أعظَمَهُ وَجَلَّ في قلبه لما رأىٰ مِنْ جماله وكماله ونُبله فقال لترجمانه: قُل له: سَلْ ما بَدا لك. فقال (سلامُ اللهِ عليه) (إبلاً لي أُخذَها أصحابُك) فقال أبرهة: لقد رأيتُك فأجللتُك وأعظمتُك. وتعلمُ ما جئتُ منْ أجلِهِ فلمْ تَسْألني الأنصرافَ وتُكلّمُني في إبلِكِ؟! فقال (سلامُ اللهِ عليه): (أنا ربُّ لهذه الابل ولهذا البيتِ الذي زعمتَ أنك تريدُ هَدْمَهُ رَبٌّ يَمنَعُك عنه). فَصَعِقَ أبْرهة وداخَلَهُ ذُعرٌ لكلامِ عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) فأمر بِرَدِ إبلِهِ عليه.

وعادَ عبدُ المطلب وتعلّقَ بابِ الكعبةِ ونادىٰ ربَّه:

(لاهُمَّ إنَّ المرءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحالَك
لا يَغْلِبَنَّ صَليبُهُمْ ومِحالُهُمْ عَدْواً مِحالَك
فَانْصُر عَلىٰ آلِ الصَّليبِ وَعابِديهِ اليومَ آلَك
إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وكَعْبَتَنا فَأَمْرٌ ما بَدالَكْ)[٢٥].

وفي اليوم التالي بَعَثَ آبنَه عبدَ الله (سلامُ اللهِ عليه) ليرىٰ كيفَ فَعَلَ رَبُّهُ بأصحابِ الفيل فجاءه (سلامُ اللهِ عليه) بالبُشرى فَتَهَلَّلَ وجهُهُ فَرَحاً وراحَ يُنشد مُزْهِواً بمُعْجِزَةِ ربِّه:

أيُّها الدّاعي لَقَدْ أسْمَعتني ثُمّ نادٍ، عن نِداكم، مَنْ صَمَمْ

---

(٢٥) انظر ج٣ الملل والنحل للشهرستاني، الدرج المنيفة للسيوطي، سالك الحنفا.

هَلْ يَدُ اللهِ أَمَرٌّ؟ أَمْ لَهُ ... سُنَّةٌ فِي القَومِ لَيْسَتْ فِي الأُمَمْ

إِنَّ للبيتِ لَرَبّاً مانِعاً ... مَنْ يُرِدْهُ بأُثامٍ يُصْطَلَمْ

نَعْرِفُ اللهَ وفينا سُنَّةٌ ... صِلَةُ الرَّحْمِ وإيفاءُ الذِّمَمْ

لَمْ يَزَلْ للهِ فينا حُجَّةٌ ... يَدْفَعُ اللهُ بِها عنّا النِّقَمْ

نحنُ أهلُ اللهِ في بَلْدَتِهِ ... لَمْ يَزَلْ ذاكَ علىٰ عَهْدِ أَبْرَهَمْ[٢٦]

وتُوفِيَ سيِّدُنا عبدُ الله (سلام الله عليه) والصِّدِّيقة آمنةُ (سلامُ اللهِ عليها) لم تَضَعْ بعد وحين أُزِفَ الوضعُ نُودِيَتْ (سلامُ اللهِ عليها) (إِنَّكِ حَمَلْتِ بسَيِّدِ هٰذِهِ الأُمةِ فإذا وَقَعَ علىٰ الأرض فقولي: أُعيذه بالواحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حاسِد.. وَسَمِّيهِ مُحَمَّداً فهو اسْمُهُ في القُرآن)[٢٧].

---

(٢٦) انظر تلك الأبيات في ج١ من تاريخ اليعقوبي. ثم انظر ما فيها من معانٍ قُدسية. ففي الأول يشير لتحذيره أبرهةَ مغبةَ طُغيانِهِ ويؤكد في الثاني إِنَّ يَدَ اللهِ هي الأَمَرُّ أيْ الغالبةُ ويسال قومَ أبرهة بما سائل به كتابُ الله عمومَ الكافرين بعد ذلك بأربعةِ عقود بقوله تعالى (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) القمر/٤٣-٤٥. وقوله تعالى (فَهَلْ يَنظرونَ الّا سُنَّةَ الأَولينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْويلا) فاطر/٤٣. ويؤكد في البيت الثالث (إِنَّ لِلْبَيْتِ رَبٌّ يَحْميهِ) وفي الرابع بعضُ المبادئِ الحَنيفيةِ وفي الخامس يُبَيِّنُ حقيقةَ انَّهُ (لا تَخْلو الأرضُ مِنْ حُجَّةٍ).

(٢٧) انظر ج١ السير والمغازي لابن إسحاق. وقد أشار سيِّدُنا أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) لذلك بقوله:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ النَّبيَّ مُحَمَّداً ... فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ في النّاسِ أَحْمَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذو العَرْشِ مَحمودٌ وهذا مُحَمَّدُ

وذات المعنى أراده أميرُ المؤمنينَ (سلامُ اللهِ عليه) بالشِّعرِ المنسوبِ إليه:

نَبِيٌّ أَتىٰ مِنْ كُلِّ وَحْيٍ بِخُطَّةٍ ... فَسَمّاهُ رَبُّهُ في الكِتابِ مُحَمَّداً

انظر: ج٤ شرح النهج.

وفي عام مَوْلِدِهِ ﷺ انْتَصَرَ سيفُ بنُ ذي يزن علىٰ الأحباشِ وانتزعَ مُلْكَ اليمن. فكان أن ذهَبَ عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ رأس وفدِ قريشٍ لتهنأته ولبثوا في ضِيافَته مُكْرَمين أياماً ثم بعث سيفُ إلى عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) فقال له (إني مُفْضٍ إليكَ منْ سِرٍّ علمي أمراً لو كان غيرُك لم أَبُحْ به.. فليكن مَصوناً حتى يأذنَ اللهُ فيه فانّ اللهَ بالغُ أمرِه. إني أجدُ في العِلم المخزونِ والكتابِ المكنونِ خبراً عظيماً فيه شرفُ الحياةِ للناسِ كافةً ولرهْطكَ عامةً ولكَ خاصةً.. إذا وُلِدَ مولودٌ بتُهامَه، بيْنَ كَتفَيه شامة، كانتْ له الأُمامةُ إلى يومِ القيامة[٢٨].. هذا حينُهُ، يموتُ أبوه وأمُّهُ ويكفلُهُ جَدُّه وعَمُّه، يَدْحَرُ الشّيطانَ ويَعبُد الرّحمٰنَ.. يَأمرُ بالمعروفِ ويفعلُه وينهىٰ عن المنكرِ ويُبْطِلُهُ والبيتِ ذي الحُجُبِ انك يا عبدَ المطلب لجدُّه من غير كَذِبْ)[٢٩].

فَخَرَّ عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) ساجداً شكراً للهِ ثُمَّ قال (كانَ لي ابنٌ كنتُ له مُحباً وعليه حَدِباً مُشفقاً فزَوَّجْتُه كريمةً مِنْ كرائمِ قومِهِ يُقالُ لها آمنةُ بنتُ وَهَب بنِ عبدِ مناف فجاءت بغُلام فيه ما ذكرتَ منْ علامة. ماتَ أبوه وأمه وكَفَلْتُهُ أنا وعَمُّه) فقال سيفُ (إنَّ الذّي قلتُ لك كما قلتُ فاحفظْ ابنَك واحذَرْ عليه اليهودَ فانّهم له أعداءٌ ولن يجعل اللهُ لهم عليه سبيلا أطْوِ ما ذكرتُ لك دونَ هؤلاءِ الرَّهْطِ الذين مَعَكَ فأنّي لستُ آمنُ انْ تَدْخُلَهم النَّفاسَةُ مِنْ انْ تكونَ لكم الرّياسَةُ فيَبْغونَ له الغوائلَ وينْصِبونَ له الحَبائلَ وهم فاعِلوه وأبناؤهم. ولولا إنّي أعلم أنّ الموتَ مُجْتاحي قبلَ مَبْعَثِهِ لَسِرْتُ بخَيلي وَرَجْلي حتّى أُصيرَ بيَثْرِبَ دارِ

---

(٢٨) أيْ إنَّ الامامةَ باقيةٌ في ذُريته إلى يومِ القيامة.

(٢٩) انظر كلمةَ سيفٍ هذه ثم قولَه ﷺ مُرتجزاً بعد أربعة عقود:

أنا النبيُّ لا كَذِبْ ° أنا ابْنُ عبدِ المُطَّلِبْ °

هِجْرَتِه فإنّي أَجِدُ في الكتاب النّاطِق والعِلمِ السّابقِ أنّ يَثْرِبَ دارُ هِجْرَتِه وبيتُ نُصْرَتِه...).

ثم أمَرَ سيفُ بهدايا عظيمةٍ لكل أعضاء الوفد وأَمَرَ لعبدِ المطلب بعشرة أضعافِها فقال عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) لقريش (لا تَغبطوني بجزيل عَطاء الملكِ فإنه إلى نَفاذ ولكن اغبطوني بما يبقى لي ذِكْرُه ولِعَقِبي فَخْرُه) قالوا: وما ذاك ؟ قال (سلامُ اللهِ عليه): (سَتَعلمونَ نَبأَهُ بعدَ حين)[٣٠].

وما أَصدقَ قريش في تَشْبيهها عبدَ المطلب بِجَدِّهِ الخليلِ (سلامُ اللهِ عليهما) بمقولة: (إنَّ عبدَ المطلب إبراهيمُ الثاني) فقد ماثلَ إحتجاجُ عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) على قومه لِأثباتِ عَدْلِ اللهِ والحياةِ الأخرى، إحْتجاجَ إبراهيمَ على قومِه لاثباتِ وَحدانيةِ اللهِ. فقد حكى إبراهيمُ، على طريقةِ انصافِ الخَصم، ف (لمّا جَنَّ عليه الليلُ رأى كَوكباً قالَ: هذا ربي، فلمّا أَفَلَ قال: لا أُحِبُّ الآفلين- فلمّا رأى القَمرَ بازغاً قال: هذا ربّي فلما أفل قال: لَئِنْ لمْ يهْدِني ربّي لاكونَنَّ مِنَ القَوم

---

(٣٠) راجع تفاصيلَ لقاءِ عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) وسيفِ بن ذي يزن (رَحِمَهُ الله) في ج٢ العقد الفريد لابن عبد البر، ج٢ تاريخ اليعقوبي، ج٢ البداية والنهاية وتاريخ العرب قبل الإسلام للأصمعي. وانظر ما في حديث سيف من حقائق وغيْب تدرك أنّه، رَحِمَهُ اللهُ، وكما قال إنّما يذكر ما وَجَدَهُ في الكُتب القديمة ويعني بها الكُتب السّماوية التي نزلت على الأنبياء السّابقين وهو عينُ مُراد سيّدنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) بقوله: (كان أبي عبدُ المطلب يقرأُ الكتبَ جَميعاً وقد قال: إنّ مِنْ صُلبي لَنبيّاً لَوَدَدْتُ أنّي أدركتُ ذلك الزّمان فآمنتُ به فمَنْ أدركَه مِنْ وُلدي فليؤمِن به) راجع نهاية الطلب للدنيوري . وكان يُوضَعُ فِراشٌ لعبدِ المطلب في ظِلِّ الكعبة ولا يجلسْ عليه أحدٌ إلّا هو إجلالاً له وكان بنوهُ يجلسون حوله حتى يَخرجَ. فكان رسولُ الله ﷺ يجلسُ عليه فيأخذُه اعمامُه فقالَ لَهم عبدُ المطلب: دَعوا ابني فوالله إنّ لَهُ شأناً عَظيماً إنّي أرى أنّه سيأتي عليكم يومٌ وهُوَ سَيِّدُكم إنّي أرى عِزّتَه عِزةً تسودُ النّاسَ) ثم يحمله فيجلسُه معه ويمسَحَ ظهرَه ويُقبّله ويوصيهِ إلى عَمِّهِ أبي طالب ورسولُ الله ﷺ بعدُ ابنُ بِضْعِ سنين (راجع في ذلك إكمال الدين والمناقب

الضّالين فَلمّا رَأى الشّمسَ بازِغَةً قالَ: هذا رَبّي، هذا أكبرُ. فَلمّا أفَلَتْ قالَ: يا قومِ إنّي بَريءٌ مما تُشْرِكون- إنّي وَجّهْتُ وَجْهي للّذي فَطَرَ السّماواتِ والأرْضَ حَنيفاً وما أنا مِنَ المشْرِكين)(الأنعام/ ٧٦-٧٩) وكذلك عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) حَكى قولَ قومِهِ في أنّه لا حياةَ بعدَ الموت فقالَ، على سَبيلِ النِّصْفَةِ، (لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدّنيا ظَلومٌ حتى ينتقمَ مِنهُ وتُصيبُهُ عُقوبَة) حتّى إذا هَلَكَ ظلومٌ لمْ تُصِبْهُ عُقوبة ما فعندها قالَ (سلامُ اللهِ عليه) لقومِهِ (واللهِ إنّ وَراءَ هذِهِ الدّارِ داراً يُجازى فيها المحْسِنُ بإحسانِهِ ويُعاقَبُ المسيءُ بإساءَتِهِ)[٣١].

وعلى ذاتِ أساسِ إنصافِ الخَصْمِ، كانَ احتجاجُ سيّدنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) لإثباتِ صِدْقِ دَعْوى يَتيمِهِ ﷺ بالنّبوةِ حين جاءَتْهُ قُريش تَشْكوهُ أنْ سَفّه أحلامَها. فَبَعَثَ خَلْفَهُ وقال (يا آبن أخي، اللهُ أرْسَلَكَ؟) قال (نعم) قال (إنّ لِلأنبياءِ مُعْجِزاً فأرِنا آيةً) قالَ (ادْعُ تِلْكَ الشّجَرَةَ وقُلْ لَها: يقولُ مُحمدُ بنُ عَبدِ اللهِ: أقْبلي بإذْنِ اللهِ). فَدَعاها فَأقبلَتْ حَتّى سَجَدَتْ بيْنَ يديْه ثمّ أمَرَها بالانصرافِ فانْصَرَفَتْ. فقال أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) (أشْهَدُ أنّكَ صادِقٌ) ثم قال لابْنِهِ عليٍّ (يا بُنَيّ ألْزِمْ ابْنَ عَمِّك) ثم قال لقريش (ما عَهِدْتُ بِهِ الكَذِبَ، انْصَرِفوا راشِدينَ)[٣٢].

إنّ التدبُّرَ فيما مَرّ، وهو نُذْرٌ يسيرٌ مِنْ سيرةِ سيّدنا عبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) يكشفُ لنا أنّ مُرادَ سيّدنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) بمقولته (أنا على دينِ عبدِ المطلب)[٣٣]. التّعْمِيةَ على قُريش الّتي خَفِيَ عليها إيمانُهُ كما خَفِيَ عليها إيمانُ

---

(٣١) انظر ج٣ الملل والنحل للشهرستاني.

(٣٢) انظر روضة الواعظين للفتال والحجة لابن معد وكاريبه أت سيّدنا ابا طالب (سلامُ الله عليه) ما كان في شكٍّ في نبوةِ يتيمِهِ ﷺ ولا كان أبوه (سلامُ اللهِ عليه) في شك من حقيقة الدارِ الآخرةِ ولا جَدُّهُما في شَكٍّ منْ وَحدانيّتِهِ، تعالى، وقيوميّتِهِ.

(٣٣) انظر ج٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري.

أبيهِ مِنْ قبلُ ولا عَجَبَ فقد خَفِيَ امرُهما (سلامُ اللهِ عليهما) حتّى علىٰ المُشركين مِنْ بني هاشم كأبى لهب وعباس وهما أخوا أبى طالب وآبنا أبيه!! وتلك الحقائق كانت وراء تأكيد أمير المؤمنين (سلام الله عليه) (كان واللهِ أبو طالب، عبدُ مناف بنُ عبد المطلب، مُؤمناً مسلماً يكتم إيمانَهُ مخافة علىٰ بَني هاشم أنْ تُنابذَها قريش)[٣٤]. وفي حديث (واللهِ ما عَبَدَ أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشمٌ ولا عبدُ مَنافٍ صَنَماً قط) قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال (كانوا يُصَلّون إلى البيتِ علىٰ دينِ إبراهيمَ مُتمَسكينَ به)[٣٥].

وليس ادل على معرفة سادات بني هاشم بحقيقةِ وليدِهِمُ المُصطفى ﷺ من حوادثِ الأستسقاء والتي تكررت ثلاثَ مرات في حياتِهِ الشريفة. وكانت اولاهما حين مُنعَتْ مكةَ مِنَ المطرِ وأُجْدَبَتْ فلاذَ أهلُها بعبدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) فأَمَرَ آبنه أبا طالب فجاءَه بِرَبيبِهم ﷺ وهو بعدُ رَضيع في قماطٍ. فَألصَقَ عبدُ المطلب ظَهْرَ الرَّضيعِ بالكَعبةِ وقال (يا ربِّ بحقِّ هذا الغلامِ آسْقِنا غيثاً مُغيثاً دائماً هطلاً) فما لبث انْ طبقَ السَّحابُ السماءَ وامْطَروا حتّى خافوا الغَرَقَ وأنْشَدَ أبو طالب بيتيه:

وأبْيَضُ يُسْتَسْقَىٰ الغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتامىٰ عِصْمَةٌ لِلأَرامِلِ
يَلوذُ بِهِ الهُلّاكُ مِنْ آلِ هاشمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ في نِعْمَةٍ وفَواضِلِ[٣٦]

وكانت الثانيةُ وقد رَحَلَ عبدُ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) وأجْدَبَتْ مكة ورسولُ اللهِ ﷺ آبنُ بضعَ سنين فجاءَتْ قُريش وقالتْ: يا أبا طالب، قَحِطَ الوادي وأجْدَبَ العيال فَهَلُمَّ واسْتَسْقِ لَنا. فجاء أبو طالب بربيبه ﷺ فألصَقَ ظهرَه بالكَعبةِ ولاذَ الغلامُ بأُصبعِهِ إلىٰ السَّماء وما فيها قطعة من سَحاب، فما لَبِثَ

---

(٣٤) انظر كتاب الحجة لابن معد. والنبذ: الخلاف والفراق عن عداوة.

(٣٥) انظر ج٢ تفسير ابي الفتوح، ج٣ تفسير البرهان، إكمال الدين.

(٣٦) راجع ج٣ الملل والنحل للشهرستاني.

أن أقبل السحاب من كل صوب وفتحت السماء بماء منهمر أغاث الناس وفيها أنشد أبو طالب (سلام الله عليه) بيتيه السابقين[٣٧]. واللذين ضمنهما فيما بعد قصيدته اللامية التي كتبها أيام الحصار في الشعب[٣٨]. كما أنه (سلام الله عليه) أشار للمكرمة تلك في الأبيات التي بعثها لابنه جعفر (سلام الله عليه) في الحبشة وأعلمه بها بفشل الحصار وهي قوله (سلام الله عليه) في مدحه ﷺ:

طويل النجاد خارج نصف ساقه ... على وجهه يسقى الغمام ويسعد[٣٩]

أما حادثة الاستسقاء الثالثة فكانت بعد رحيل سيدنا أبي طالب (سلام الله عليه) والهجرة. فقد جاء أهل المدينة رسول الله ﷺ يشكون الجدب فارتقى المنبر ودعا فما استتم الدعاء حتى هطلت السماء فضحك رسول الله ﷺ وقال (لله در عمي أبي طالب. لو كان حياً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا شعره) فقام أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وانشد اللامية الغراء ورسول الله ﷺ على المنبر يستغفر لعمه (سلام الله عليه). ثم قام رجل فوصف حادثة الاستسقاء بقصيدة ختمها بمدح رسول الله ﷺ فقال:

فكان كما قاله عمه ... أبو طالب أبيضاً ذا غرر

به الله يسقي صبوب الغمام ... وهذا العيان لذاك الخبر[٤٠]

ومن الأدلة الأخرى على معرفة سيدنا أبي طالب (سلام الله عليه) بحقيقة ابن أخيه ﷺ ما رواه الراوندي في الخرائج والجرائح فقال: عاد أبو طالب ذات يوم لداره فهرعت الصديقة فاطمة بنت أسد للقائه حافية وهتفت: لقد كان في

---

(٣٧) راجع ج١ السيرة الحلبية، ج١ السيرة الدحلانية، ج١ المواهب اللدنية ج١ الخصايص الكبرى للسيوطي، ج٢ إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني.

(٣٨) سيأتي بعض أبياتها في الباب الثالث ص٥٩

(٣٩) ستأتي تلك الأبيات لاحقاً ص٦١.

(٤٠) راجع ج٣ شرح نهج البلاغة، أعلام النبوة للماوردي، ج١ السيرة الحلبية والدحلانية.

غيابك أمرٌ عجبٌ! لقدْ رأيتُ محمّداً يُكلّمُ النّخلةَ الّتي في بيتنا ويُخبرُها أنّه جائعٌ فرأيتُ النّخلةَ انْحنتْ حتى أكلَ منْ رُطبها ما أرادَ ثم ارْتفعتْ. فقالَ أبو طالب (هو إنما يكونُ نبياً وأنْتِ تلدينَ له وزيراً بعدَ يأسٍ). وكانَ أبو طالب (سلامُ الله عليه) يخرجُ إلى الشّام للتّجارة، فتهيأ مرةً للخروج ورسولُ الله ﷺ ابنُ اثني عشرَ سَنة فتعلّق به فصَحِبَه معه في الرّكب فلمّا نزلوا منْطقةَ (بصُرى) مرّوا بصَوْمَعةٍ فيها راهبٌ يُدعى (بحيرا) وكانوا يمرّونَ عليه في كُلّ رحلةٍ فلا يأبَهُ بهم. لكنّه في هذه المرّة خرَجَ إليهم حينَ رأى غمامةً تظلّلُ رأسَ فتىً فيهم. وصَنعَ لهمْ طعاماً وراحَ يُراقبُ الفتى ورأى خاتمَ النبوّةِ بينَ كتفيه فاقبلَ على أبي طالب (سلامُ الله عليه) فسألَه: ما هذا الغلام منْكَ. قال: (ابني) قال: ما هو بابنِكَ وما ينبغي أنْ يكونَ أبوهُ حيّاً. فقال (سلامُ الله عليه) (فإنه ابنُ أخي ماتَ وامّه حُبلى به) قال: صدَقْتَ فارجعْ به إلى بلادِكمْ واحْذر عليه منْ اليهود فوالله لئنْ رأوه وعَرفوا منه ما عَرفتَ ليقتلونه. فانه كائنٌ لابن أخيكَ هذا شأن.

وكان في المكانِ ثلاثةُ يهود يُدْعَونَ: زُبيرا وتمّاما ودريسا رأوا في رسولِ الله ﷺ ما رأى بحيرا فأرادوا كيْدَه فمَنعَهُمْ بحيرا وذكّرَهم الله وما يجدونَ في كُتبهم منْ أنّهم لنْ يصلوا إليه، فتركوه.

وقد ذكرَ أبو طالب (سلامُ الله عليه) حادثةَ الرّاهبِ (بحيرا) في قصائدَ عديدةٍ كقوله:

إنّ ابْنَ آمنةَ النّبي محمّداً ... عندي يفوقُ منازلَ الأوْلادِ

راعيتُ فيه قرابةً موْصولةً ... وحفظْتُ فيه وصيّةَ الأجْدادِ

وأمرتُه بالسّيْر بيْنَ عمومةٍ ... بيضِ الوجوهِ مصالتٍ أنْجادِ

حتّى إذا ما القومُ بصرى عاينوا ... لاقوا على شرْكٍ منَ المرْصادِ

حبْراً فأخْبرَهم حديثاً صادقاً ... عنْه وردّ معاشرَ الحسّادِ[41]

---

(41) ج[1] تاريخ ابن عساكر، ج٢ السير والمغازي لابن إسحاق. والمصالت الانجاد: الشجعان.

وأخيراً... فحين ذَهَبَ سيِّدُنا أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) لِيَخْطِبَ الصِّدِّيقةَ خَديجةَ الكُبرىٰ (سلامُ اللهِ عليها) لِربيبه ﷺ خَطَبَ فقالَ: (الحمدُ للهِ الّذي جَعلنا مِنْ ذُريةِ إبراهيمَ وزرعِ إسماعيلَ وجعل لنا بلداً آمناً وبيتاً محْجوجاً وجعلنا الحكامَ علىٰ الناس. ثمّ انّ محمداً بنَ عبدِ الله أخي مَنْ لا يُوازَنُ بهِ فتىً مِنْ قُريش إلاّ رَجَحَ عليه براً وفضلاً وحزْماً وعَقلاً ورأياً ونُبلاً، وانْ كان في المال قَلّ فانّ المالَ ظِلٌّ زائلٌ وعاريةٌ مُسْترجَعة. وله في خَديجةِ بنتِ خُويلد رغبةٌ. وما أُحْبَبْتُمْ من الصَّداقِ فَعَليّ. وله واللهِ بعدُ نبأٌ شائعٌ وخَطْبٌ جَليلٌ)[٤٢].

فَلِينْظُرَ المؤمنُ في حَقِّ يقين شَيْخِ المؤمنينَ وسيِّدِهم أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) بمكانةِ يتيمهِ ﷺ فهو يَسْتَسقي بهِ وهْوَ ابنُ ثمانٍ، وَيُبَلِّغُ زوجَتَهُ انَّهُ (إنّما يكونُ نَبيّاً) وهو دونَ العاشرةَ.ويقولُ فيه (إن ابنَ آمنةِ النبيَّ محمداً) وهو ابنُ اثني عشر سنة.وينوّهُ بشأنه العظيم وهو ابنُ خَمْسةَ وعشرينَ سَنة.حين ذَهَبَ ليخطِبَ له الصِّدِّيقةَ خَديجةَ الكُبْرىٰ (سلامُ اللهِ عليها) فقال بحقِّه (وَلَهُ واللهِ بَعْدُ نَبأٌ شائعٌ وَخَطْبٌ جَليلٌ).

كُلُّ هذا، وَهْوَ غَيضٌ مِنْ فَيضِ سيرةِ سيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه)، وَرَسولُ اللهِ ﷺ بعدُ لمْ يُبْعَثْ!! فَلِينْظُرَ المؤمنُ ما فعلَهُ (سلامُ اللهِ عليه) بعد بعثتهِ وما قالَهُ فَسيرىٰ أنَّ كُلَّ فِعْلٍ وكُلَّ قَوْلٍ لَهُوَ أبلَغُ شاهِدٍ علىٰ أنّ مولانا أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) لمْ يَكنْ مِنْ عامةِ المؤمنينَ الصّادِقين... بل هُوَ دَليلُهُمْ وعِمادُهُمْ وشَيْخُهُمْ وَشَفيعُهُمْ..

رَزَقنا اللهُ شَفاعَتَهُ... وَرَزَقَهُمْ... وَرَزَقَكُمْ.

---

(٤٢) راجع ج١٤ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

الشَّفيعُ

تَغافَلْتُ كَالأَنْوَكِ الذّاهِبِ ... وَأَسْرَفْتُ كَالْغافِلِ اللاّعِبِ
وَجِئْتُ فَيافي الضَّلالَةِ.. لا ... أَرى دُونَها لِيَ مِنْ حاجِبِ
وَخُضْتُ المَعاصي وَلَسْتُ بِغِرٍّ ... وَلا بِمُنيبٍ وَلا تائِبِ
حَطَبْتُ ذُنوباً تَهِدُّ الجِبالَ ... لَ تَعْساً لِمِثْلِيَ مِنْ حاطِبِ
أُتابِعُ بِالسّوءِ أُمّارَةً ... لَها الْحَبْلُ مُلْقىً عَلى غارِبِ
وَلَمْ تَكُ بِالدَّهْرِ لي عِبْرَةٌ ... وَكَمْ نابَني مِنْهُ مِنْ نائِبِ
وَما كَفَّني ذِكْرُ مَوْتٍ دَنا ... وَشَمَّرَ عَنْ مِخْلَبٍ صائِبِ
وَلَمْ يُثْنِني هَوْلُ يَوْمِ الحِسا ... بِ أَوْ شِدَّةُ الحاكِمِ الحاسِبِ
وَلَمْ أَتَزَوَّدْ بِعُذْرٍ كَفى ... أَرُدُّ بِهِ عَتَبَ العاتِبِ
كَأَنّي مِنْ ذاكَ في جُنَّةٍ ... كَأَنَّ شَفيعي أَبا طالِبِ
عَمِيدِ الأَطايِبِ مِنْ هاشِمٍ ... وَقُطْبِ المَيامينَ مِنْ غالِبِ
نَظيرِ أُولي الكَهْفِ في كَتْمِهِمْ ... لِأيمانِهِمْ حَذَرَ الثّالِبِ
وَلكِنَّهُمْ دونَ مِعْشارِ ما ... لَهُ مِنْ مَقامٍ عَلِيٍّ غارِبِ
فَلَيْسَ كَمُعْتَزِلٍ لِلطَّوا ... غِ زاري بِمُكْرِهِمُ الخائِبِ
وَلَيْسَ لِأُرْغامِ هاماتِهِمْ ... سِوى الهَزْبَرِ اللابِدِ القاطِبِ
وَما غَيْرُ عَبْدِ مَنافٍ حَفي ... يَنوءُ بِما ناءَ مِنْ واجِبِ
تَصَدّى لِيَمْنَعَ دينَ النَّبي ... وَيَدْفَعَ داهِيَةَ الكاذِبِ
بِصَبْرٍ مِنَ الرّاسِياتِ أَقَرّ ... وَعَزْمٍ أَشَدَّ مِنَ القاضِبِ
وَعَرَّضَ في (مُؤْمِنٍ) رَبُّهُ ... بِمَنْهَجِهِ الأَقْدَسِ اللاّحِبِ[٤٣]
وَأَنْزَلَهُ المُصْطَفى مَنْزِلاً ... تَذِلُّ لَهُ هامَةُ الرّاقِبِ :

---

(٤٣) انظر ص١٣.

(أَنَا وَكَفِيلُ اليَتِيمِ مَعاً كَهاتَيْنِ) في المُحكَمِ الصّائِبِ[44]

و (نُورُهُ يُطْفِئُ ما غَيْرَهُ عَدا الخَمْسِ في المَحْشَرِ الصّاحِبِ)[45]

و (إِيمانُهُم دونَ إِيمانِهِ إذا قِيسَ بالأَقْسَطِ الرّاتِبِ)[46]

و (لَيْسَ يُرَدّ شَفِيعا وان يَجُرّ كُلّ مُقْتَرِفٍ سارِبِ)[47]

قَسِيمُ الخَلائِقِ إذْ حُبُّهُ يَمِيزُ التّقِيَّ مِنَ النّاصِبي

كَذاكَ أَبْنُهُ قاسِمٌ في المَعا دِ.. زِهْ بِهِما لِلضَّمِي الشّاغِبِ

فَبُورِكَ مَنْ والِدٍ وابْنِهِ لَفَضْلُهُما كَالسّنا الثّاقِبِ

فَلا يَعْشُو عَنْهُ سِوىَ ابْنُ زِنىً جَلِيُّ العُيُوبِ لَدىَ العائِبِ

---

(44) انظر ص ٧٨.

(45) انظر ص ٨٠.

(46) انظر ص ٨١.

(47) انظر ص ٨٠.

الانوك : الأحمق، الذاهب: المجنون، جابَ: قطع، فيافي: صحاري، غِر: جاهل، غارب: كاهل: ما بين الظهر والعنق، نائب: مصيبة، كَعَّ: منع، كَفِي: مقنع، عَل: عالي، زَرىً: اعاب، هزبر ولابد وقاطب: أسماء الأسد، حَفي: قادر، عَرَّضَ: أشادَ،(مُؤمن) سورةٌ المؤمن،المنازلة بحق سيدنا أبي طالب (عليه السلام)

الفصل الثالث

مآثرُ ومناقبُ
كافلِ اليتيمِ صلى الله عليه وآله
سيّدِ مكةَ أبي طالبٍ

إذا شِئْتَ أنْ تأتي يومَ الحِسا ... بِ نفْسُكَ مِنْ هَوْلِهِ آمِنَة °

فَدِنْ بِوَلاءِ أبي طالبٍ ... عَميدِ الهُداةِ بَني آمِنَة °

فَمَا كَكَفيلِ الرَّسولِ كَفي ... وَلا كَضَمانَتِهِ ضامِنَة °

﴿قُمْ يا سيِّدي فتكلَّمْ بما تُحِبُّ وبلِّغْ رِسالةَ رَبِّكَ فأنَّكَ الصّادقُ المُصَدَّق﴾

أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ عَمَّهُ أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) بنُزولِ (وأنْذِرْ عَشيرَتَك الأقْربين) فَدَعى بني هاشم فلما أكلوا وشَربوا قامَ ﷺ خطيباً فقال (أرأيتكم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرجُ بسفحِ الجبل، أكُنتمْ مُصَدِّقي؟) قالوا: نعم، ما جَرّبنا عليكَ كَذِباً. قال ﷺ (فإنّي نذيرٌ لكم بَيْنَ يَديْ عَذابٍ شَديدٍ). فقالَ أبو لهب (تباً لكَ! أما جَمَعْتَنا إلاّ لهذا؟ فما رأيتُ أحداً جاءَ على بني أبيهِ بشَرٍّ مما جِئتنا به) وانصرفوا. ثُمّ دَعاهم (سلامُ اللهِ عليه) في الغَدْ فلما أكلوا وشربوا قامَ ﷺ ليتكلَّمَ فاعترَضَهُ أبو لهب فقال له أبو طالب (سَلامُ اللهِ عليه) (اُسْكُتْ يا أعْورُ ما أنتَ وهذا؟) ثُم قالَ للجميع (لا يَقُومَنَّ أحد) فجلسوا ثم قال لربيبه ﷺ (قُمْ يا سيدي فتكلم بما تُحِبُ وبَلِّغْ رِسالةَ رَبِّكَ فإنَّك الصّادق المُصَدّق) فقام ﷺ وقال (إنَّ الرائدَ لا يُكذِبُ أهْلَه. واللهِ الّذي لا إلهَ إلاّ هوَ إني رسولُ اللهِ إليكم خاصَّةً وإلى الناس عامَّةً. واللهِ لتَموتُنَّ كما تنامونَ ولَتُبْعَثُنَّ كما تَسْتَيقِظونَ ولَتُحاسَبُنَّ بما تعْمَلونَ وإنَّها الجنةُ أبَداً أوْ النّارُ أبداً).

فقال أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) (ما أحَبَّ إلينا مُعاونَتَكَ وأقْبَلَنا لِنَصيحَتِكَ وأشَدَّ تَصْديقَنا لِحَديثِكَ وهؤلاءِ بَنو أبيكَ مُجْتَمعونَ وإنما أنا أحَدُهُمْ غيرَ أنّي أسْرَعُهُمْ لِما تُحِبُّ فامْضِ إلى ما أُمِرْتَ بهِ فواللهِ لا أزالُ أحوطُكَ وأمْنَعُكَ..).

فقالَ ﷺ (فأيُكُم يُعينُني على الأمرِ حتّى يُظْهِرَهُ اللهُ ويكونَ وَصيي وخَليفتي عليكُم؟) فقامَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وهو ابنُ عَشْرِ سنين وقال:(أنا يا رَسولَ اللهِ). فَرَفَعَ ﷺ بِضِبْعِهِ وقالَ (يا قومِ هذا وَصِيي وخَليفَتي فاسْمَعوا له وأطيعوا). فلما انصَرفوا قال أبو لَهَبٍ لأبي طالبٍ (سلامُ اللهِ عليه):

بَخٍ لَكَ يا أَبا طالب، يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْمَعَ لِأَبْنِكَ وَتُطيعُ!! فقال (سلامُ اللهِ عليه) (أَفعَلُ، إِنْ شاءَ اللهُ)[1].

وراحَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) يَحُثُّ بَني هاشم علىٰ الإيمانِ برسولِ اللهِ ﷺ ونُصْرَتِهِ فكانَ يقول (إِنَّ ابْنَ أَخي، كَما يقولُ، أَخْبَرَنا بِذلِكَ آباؤُنا وَعُلَماؤُنا أَنَّ مُحَمداً نبيٌّ صادِقٌ وأَمينٌ ناطِقٌ وأَنَّ شَأْنَهُ أَعْظَمُ شَأْنٍ وَمَكانَهُ مِنْ رَبِّهِ أَعْلىٰ مَكان فَأَجيبوا دَعْوَتَهُ وَاجْتَمِعوا عَلىٰ نُصْرَتِهِ وَارْموا عَدُوَّهُ مِنْ وَراءِ حَوْزَتِهِ فَإِنَّهُ الشَّرَفُ الباقي لَكُمْ مَدىٰ الدَّهْرِ)[2].

ويقولُ (سَمِعْتُ ابْنَ أَخي محمداً ابنَ عبدِ اللهِ يقولُ: إِنَّ رَبَّهُ بَعَثَهُ بِصِلَةِ الأَرحامِ وَأَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ ولا يُعْبَدُ مَعَهُ غيره. ومُحَمَّدٌ الصَّدوقُ الأَمينُ)[3].

ويقولُ (حَدَّثني ابْنُ أَخي الصَّادقُ الأَمينُ، وكانَ واللهِ صَدّوقاً: أَنَّ رَبَّهُ أَرسَلَه بِصِلَةِ الأَرحامِ وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ. وكانَ يقولُ: اشْكُرْ تُرْزَقْ ولا تَكْفُرْ تُعَذَّبْ)[4].

ويخاطبُ بني هاشم (يا مَعشرَ بني هاشم أَطيعوا مُحَمَّداً وَصَدِّقوهُ تُفْلِحوا وَتَرْشِدوا[5] وَيُخاطِبُهُم (سلامُ اللهِ عليه)

إِنْ يكُنْ مـا أَتىٰ بِهِ أَحمدُ اليومَ ... سَناءً وكانَ في الحَشْرِ دينا

---

(1) انظر حديث الدار في ج1 الطبقات الكبرى لابن سعد، ج2 الفايق للزمخشري ج2 التاريخ الكامل لابن الأثير، ج3 تاريخ ابن كثير، ذخاير العقبى للطبري وفي (حديث الدار) كان أول اعلان بأمير المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وصياً وخليفةً له ﷺ.

(2) راجع ضياء العالمين للفتوني.

(3) انظر ج4 الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني.

(4) انظر اسنى المطالب لاحمد زين دحلان والحجة لابن معد.

(5) انظر ج1 السيرة الحلبية، ج1 السيرة لدحلان، ج1 طبقات ابن سعد، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي و اسنى المطالب.

فَاعْلَموا أنّي لَهُ ناصرٌ دهري ... وَمُجْزي بقَوْلَتي خاذِلينا
فآنصروهُ لِلرَحَمِ والنَّسَبِ الأدنىٰ ... وكونوا لهُ أبداً مُصْلِتينا[٦]

ويقول لابن أخيه ربيعةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطلب يَحُثُّه علىٰ نُصْرَتِه ﷺ:

إعْلَمْ أبا أروىٰ بأنّكَ ماجِدٌ ... مِنْ صُلْبِ شَيْبَةَ فآنصُرَنْ مُحَمَّداً
لِلّهِ دَرُّكَ إنْ عَرَفْتَ مَكانَهُ ... في قَوْمِهِ وَوَهَبْتَ مِنْكَ لَهُ يَداً
شَرَفُ القِيامَةِ والمَعادِ بِنَصْرِهِ ... وَمُعاجِلُ الدُّنيا يَحُوزُ السُّؤْدَدا[٧]

ويقولُ يحثُّ ابنَه طالبَ علىٰ مُؤازرةِ رَبيبه ﷺ:

أَبُنَيَّ طالبَ إنَّ شَيْخَكَ ناصحٌ ... فيما يقولُ مُسَدِّدٌ لَكَ رانِقُ
فَآضْرِبْ بِسَيْفِكَ دُونَ أَحْمَدَ مُوقِنا ... كُلُّ آبنِ أُنْثى لِلْمَنِيَّةِ ذائِقُ
وَآنصُرْ رَجائي فيكَ بَعْدَ مَنِيَّتي ... مُذْ كُنْتَ إني بِتَمِّ رُشْدِكَ واثِقُ
آهاً أُرَدِّدُ حَسْرَةً لِفِراقِهِ ... إذْ لَنْ أَراهُ وَفَرْعُ مَجْدِهِ باسِقُ
أتَرىٰ أَراهُ واللِّواءُ أَمامَهُ ... وعليٌّ آبْني لِلِّواءِ مُعانِقُ
أتراهُ يَشْفَعُ لي وَيَرْحَمُ عَبْرتي ... هَيْهاتَ إنّي لا مَحالَةَ زاهِقُ[٨]

وكان رسولُ الله ﷺ إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ يَخْرجُ وَمَعَهُ أَميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) إلى شِعابِ مكة وَمعه أمير المؤمنين (سلام الله عليه) مُسْتَخْفِيْنِ فَيُصَلِّيان وكانَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) يَحُثُّ آبنَه علىٰ مُلازمته ﷺ ويقول له: (اَلْزِمْ آبنَ عَمِّكَ) و(يا بُنَيَّ اُلْزَمْ آبنَ عَمِّكَ فإنّكَ تَسْلَمُ به مِن كُلِ بأسٍ عاجِلٍ وآجِلٍ أما إنّه لَمْ يَدْعُكَ إلّا إلىٰ خيرٍ فَالْزَمْهُ)ويخاطبه:

إنَّ الوثيقَةَ في لُزومِ مُحَمَّدٍ ... فَآشْدُدْ بِصُحْبَتِهِ عَلَيَّ يَدَيْكا

---

(٦) ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق وفي الأبياتَ أحاديث بالغيب نشير لها آخر الفصل.

ومَرَّ يوماً أبو طالب ومعه آبنُه جعفرٌ (سلامُ اللهِ عليهما) فَرَأى رسولَ اللهِ ﷺ يُصلي وَعَليّا عَنْ يَمينِهِ فقال لجعفر (صِلْ جَناحَ آبنَ عَمِّكَ وَصَلِّ عَنْ يَساره) فجاءَ جعفرٌ ووقفَ جَنْبَهُ ﷺ فَأَحَسَّ فتَقَدَّمَهُما وآنصَرفَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) مَسروراً يقول:

إنَّ عليـــاً وجَعفـــراً ثِقـــتي ... عِنْـدَ مُلِـمِّ الزَّمـانِ والنُّـوَبِ
لاٰ تَخْـذُلا وآنصُـرا آبَـنَ عَمِّكُمـا ... أَخـي لِأُمّـي مِـنْ بَيْنِـهِمْ وَأُبـي
واللهِ لاٰ أُخْـــذُلَ النَّـــبِيَّ ولاٰ ... يَخْذُلُـهُ مِـنْ بَنـيَّ ذو حَسَـبِ[٩]

---

(٩) راجع في ذلك ج١ السيرة النبوية لابن هشام، ج٢ تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج٤ الإصابة لابن حجر العسقلاني، تفسير الكشف والبيان لابي إسحاق الثعلبي، تفسير ابي الفتوح ج٢، آمالي الشيخ الصدوق والمتفكر بعفوية إلتحاق سيدنا جعفرِ بنِ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليهما) برسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (سلام الله عليه) وهما يصليان يتكشف له بجلاء انه (سلام الله عليه) كان قبل ذلك من المؤمنين لكنه، كشأن أبيه واخويه طالب وعقيل وعمهم الحمزة (سلام الله عليهم)، كان يكتم إيمانَه. وانّ بآلتحاقه بالصلاة إمتثالاً لأمر أبيه قد أُجْهِرَ بإيمانه فلمْ يَحْتَجْ للنطق بالشهادتين ولم يسأل عن كيفية الصلاة وفضلاً عن ذلك ان رسول الله ﷺ حين احس بمجيء جعفر (سلام الله عليه) تقدّم دون تلبّث. وما ذاك إلا لأنه أَلِفَ الأمر مِن قبل.

عندما نزل قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) قال رسول الله ﷺ لعمّه أبي طالب: (إنّ اللهَ قد أمرني بإظهارِ أمري) فنظر (سلامُ اللهِ عليه) ليتيممِ ﷺ وقال: (اُخرجْ ابنَ أبي فإنكَ الرَّفيعُ كَعْبا والمنيعُ حِزْبا والأعلى أبا. واللهِ لا يَسْلُقُكَ لِسانٌ إلاّ سَلَقْتَه ألسنٌ شِداد وآجْتَذَبْتَهُ سُيوفٌ حِداد. واللهِ لَتَذِلَّنَّ لكَ العَربُ ذُلَّ البُهُم لِحاضِنِها. ولقد كان أبي، عبدُ المطلب، يَقرأُ الكُتُبَ جميعاً وقدْ قال: إنَّ مِنْ صُلبي لَنبياً لَوَدَدْتُ إنّني أدْرَكْتُ ذلكَ الزَّمان فآمَنْتُ بِهِ فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْ وُلْدي فَلْيؤمِنْ بِه)

ثم أنشدَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه):

واللهِ لَـنْ يَصِلـوا إليـكَ بِجَمْعِـهِمْ	حَتّىٰ أُوَسَّـدَ في الـتُّرابِ دَفينـا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ ما عَليكَ غَضاضَة	وَابْشِرْ بِـذاكَ وَقَـرَّ مِنْـكَ عُيونـا
وَدَعَوْتَني وَعَلِمْـتُ أنّكَ نـاصِحي	وَلَقَـدْ صَدَقْـتَ وكُنْـتَ ثَـمَّ أمينـا
وَلَقَـدْ عَلِمْـتُ بِـأنَّ دِيـنَ مُحَمَّـدٍ	مِـنْ خَيرِ أَديـانِ البَرِيَّةِ دينـا[10]

ﷺ:

مِنْ حَـقٍ تَقـومُ بِـهِ ... أيـدٍ تَصـولُ ولا سَـلْقٌ بـأَصْواتِ

نفسـي إنْ مَليـتَ بِـها ... وَدونَ نَفْسَـكَ نَفْسـي في المُلِمّـاتِ

لا يُظهرُ دينَ اللهِ ويدعو إليه فأَسْلَمَ البعضُ وجاءتْ قُريش تَشْكوه لله عليه) وتَعْرِضُ عَليهِ ما شاءَ مِنْ مُلْكٍ وَجاهٍ علىٰ أنْ يَدَعَ الأمرَ له قولَ قُريش وَهُمْ حُضورٌ فقالَ ﷺ: (يا عمّاه لو وَضَعوا الشَّمْسَ في شِمالي ما تَركتُ هذا الأمرَ حتّى يُظْهِرَهُ اللهُ أوْ أُقْتَلَ دُونَه).

وخاطبه

لا يَمْنَعَنَّكَ مِـ

فَـإنَّ كَفَّـكَ

فَمضىٰ ﷺ

لِكافِلِهِ (سلامُ ا

فَبعَثَ إليه وأبلغ

في يَميني والقَمَرَ

سؤول للدينوري، ضياء العالمين للفتوني، الطرائف للسيد ابن طاووس.

(١٠) راجع غاية الـ

فقالَ له أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه): (إمضِ لأمْرِكَ فواللهِ لَنْ أُخْذُلَكَ أبداً) وقال لِوَفْدِ قُريش (واللهِ ما كَذَبَ قطّ، فارْجِعوا راشِدينَ)[11].

وقد مَرَّ، في الفصل الثاني ص٣٦، إحْتِجاجُ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ قريش بإظهارِ إحدىٰ مَعاجزِ يَتيمِهِ ﷺ فَراجِعْهُ.

وإذ عَجزَتْ قُريشُ عنْ التَّعَرُّضِ لِرسولِ اللهِ ﷺ بسببِ حِمايةِ عَمِّهِ (سلامُ اللهِ عليه) له فإنّها لَجأتْ إلى تَعْذيبِ مَنْ أُجْهِرَ إسلامَهُ مِنْ عامّةِ النّاسِ كما حَدَثَ لِعُثمانِ بنِ مَظْعون فَأغْضَبَ ذلك أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) فَكَتَبَ يُخاطِبُ قُريشاً:

أَمِنْ تَذَكُّرِ دَهْرٍ غَيْرِ مَأْمونِ ... أَصْبَحْتَ مُكْتَئِباً تَبكي كَمَحْزونِ
أَمْ مِنْ تَذَكُّرِ أَقْوامٍ ذَوي سَفَهٍ ... يَغْشَونَ بالظُّلْمِ مَنْ يَدعو إلىٰ الدّينِ
أَلا تَرَوْنَ أذَلَّ اللهُ جَمْعَكُمُ ... أنّا غَضِبْنا لِعُثْمانَ بنِ مَظْعونِ
وَنَمْنَعُ الضَّيْمَ مَنْ يَبْغي مُضَيَّمَنا ... بِكُلِّ مُطَّرِدٍ في الكَفِّ مَسْنونِ
وَمُرْهَفاتٍ كَأَنَّ المِلْحَ خالَطَها ... يُشْفىٰ بِها الدّاءُ مِنْ هامِ المَجانينِ
حَتّى تَقِرَّ رِجالٌ لا حُلومَ لَها ... بَعْدَ الصَّعوبَةِ بالأَسْماحِ وَاللّينِ
أَوْ تُؤْمِنوا بِكِتابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ ... عَلىٰ نَبِيٍّ كَموسىٰ أَوْ كَذي النّونِ

وقالَ (سلامُ اللهِ عليه):

إذا قيلَ مَنْ خَيْرُ هذا الوَرىٰ ... قَبيلاً وأَكْرَمُهُمْ أُسْرَةِ
أَنافَ لِعَبْدِ المَنافِ أَبٌ ... وَفَضَّلَهُ هاشِمُ العِتْرَةِ
لَقَدْ حَلَّ مَجْدُ بَني هاشِمٍ ... مَكانَ النَّعائِمِ والنَّثرةِ
وَخَيْرُ بَني هاشِمٍ أَحْمَدٌ ... رَسولُ الإلٰهِ عَلىٰ فَتْرةِ[12]

---

(11) ذخاير العقبى للطبري، ج٣ تاريخ ابن كثير الدمشقي، تاريخ البخاري.

(12) انظر ج٣ شرح نهج البلاغة للمعتزلي وديوان شيخ الابطح (سلامُ اللهِ عليه) وانظر في معنى البيت الأخير من كلا القطعتين تجد، وكما هو الحال في الكثير من شعر وكلام شيخ =

سَأَلْتَنِي مَنْ أَنْتَ؟ أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ ... قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ

وزيَّنَ لِقُريش حَظُّها العاثِر أَنْ تَمْتَحِنَ مَدىٰ إِلتزامِ سَيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) بِنُصْرَةِ يَتيمِهِ ﷺ، ففي يومٍ وبينما كانَ يُصلي في الكعبةِ وَبَعْضُ قُريشٍ هناك قالَ أبو جَهْل: مَنْ يقومُ لِهذا الرجلِ فَيُفْسِدُ عليهِ صَلاتَهُ؟ فَقامَ أَرْذَلُهُم آبنُ الزِّبَعْرىٰ فَأَخَذَ فَرْثاً وَدَماً فَوَضَعَهُ علىٰ رأْسِهِ المُقَدَّسِ فَانْفَتَلَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِنْ صَلاتِهِ وجاءَ عَمَّهُ (سلامُ اللهِ عليه) وقال: (يا عَمْ.. مَنْ أنا؟) فقالَ (لِمَهْ يا آبنَ أَخي؟) فَقَصَّ عليه الأمرَ. فقامَ (سلامُ اللهِ عليه) وَدَعا عَبيدَهُ أَنْ يَأتوهُ بِفَرْثٍ وَدَمٍ، وَوَضَعَ سَيْفَهُ علىٰ عاتِقِهِ وَمَشىٰ معه حتّى أَتىٰ القومَ فلمّا رَأَوْهُ قَدْ أَقْبَلَ جَعَلَ القومُ يَنْهَضونَ فقالَ (سلامُ اللهِ عليه) (واللهِ لَئِنْ قامَ رَجُلٌ لَأَلْتُهُ بِسَيْفي) فَقَعَدوا فقالَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ: (مَنْ فَعَلَ بِكَ ذاك؟) فأُشارَ لِآبْنِ الزِّبَعْرىٰ فَدَعاه (سلامُ اللهِ عليه) فَوَجَأَ أَنْفَهُ حتّى أَدْماها. ثُمَّ أَمَرَ بالفَرْثِ والدَّمِ فَلَطَّخَ بِهِ وُجوهَهُمْ وَلِحاهُمْ وَثيابَهُمْ وأَساءَ لهمُ القولَ، ثُمَّ نَظَرَ إلىٰ رَبيبِهِ ﷺ وقالَ (سَأَلْتَني: مَنْ أَنتَ؟ أَنْتَ واللهِ أَشْرَفُهُم حَسَباً وَأَرْفَعُهُم مَنْصِبا) ثم قال (يا مَعْشَرَ قُريش مَنْ شاء مِنكم أَن يَتَحَرَّكْ فَلْيَفْعَلْ! أَنا الَّذي تَعرِفُوني). ثُمَّ خاطَبَ يَتيمَهُ ﷺ فقالَ (سلامُ اللهِ عليه):

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ... قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ
لِمُسَوَّدينَ أَكارِمٍ ... طابوا وطابَ المَوْلِدُ
نِعْمَ الأُرومَةُ أَصْلُها ... عَمْرُو الخِضَمُّ الأَوْحَدُ
أَنّى تَضامُ ولَمْ أَمُتْ ... وأَنا الشُّجاعُ العِرْبِدُ =

= المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه)، تَضْميناً لآيات قُرآنية أَوْ لِتَأْويلِها وأَخْباراً بالغَيْبِ مِمّا وَقَعَ في القُرون الغابِرَةِ أو سَيَقَعُ في الأيام والسنين القادمة ثم أَمْعِنِ النَّظَرَ والفِكْرَ في وَصْفِهِ لِرَبيبِهِ ﷺ، في أَبياتٍ لاحِقَةٍ، بأَنَّهُ ﷺ (مُسَوَّدٌ لِمُسَوَّدينَ) تَجِدْ مُرادَهُ (سلامُ اللهِ عليه) في وَصْفِهِ ﷺ بالمصطفى ... انظر ص٦٨

وَبِطَـــاحُ مَكَـــةَ لا يُـــرى ... فيـــها نَجِيـــعٌ أُسْـــوَدُ
وَبَنُـــو أبيـــكَ كَأَنَّـــهُم ... أُسْـــدُ العَرِيـــنِ تَوَقَّـــدوا
وَلَقَـــدْ عَـــهِدْتُكَ صادِقـــاً ... في القَـــوْلِ لا تَـــتَزَيَّدُ
مـــا زِلْـــتَ تَنْطِـــقُ بِـــالصَّوا ... بِ وَأَنْـــتَ طِفْـــلٌ أَمْـــرَدُ[13]

وجاءَتْه قُرَيشٌ فيما بعدُ وعَرَضوا عليه إعطاءَه فَتاهُمْ عِمارَةَ بنَ الوليدِ ليَتَّخِذَهُ وَلَداً وَيُسْلِمُهُم ابْنَ أَخيه ﷺ فَنَهَرَهُم وَرَدَّهُم وأنشد:

يقولونَ لي دَعْ نَصْرَ مَنْ جاءَ بالهُدى ... وغالِبْ لنا غَلّابَ كُلِّ مُغالِبِ
وَسَلِّمْ إلينا أَحْمَداً وَاكْفُلَنْ لَنا ... بُنَيّاً ولا تَحْفَلْ بِقَولِ المُعاتِبِ
فَقلتُ لهم: اللهُ رَبّي وناصري ... علىٰ كُلِّ باغٍ مِنْ لُؤَيٍّ وغالِبِ

وانشد (سلامُ اللهِ عليه):

حَمِيتُ الرَّسولَ رَسولَ الإِلٰهْ ... بِبِيضٍ تَلَأْلَأُ مِثْلَ البُروقْ
أَذِبُّ وأَحْمي رَسولَ الإِلٰهْ ... حِمايَةَ عَمٍّ عليهِ شَفيقْ[14]

---

(13) راجع ج1 نزهة المجالس للصفوري، ج2 ثمرات الأوراق للحموي بهامش المستطرف، الحجة لابن معد، ج3 شرح النهج للمعتزلي، تفسير القرطبي وانظر في معنى البيتين الأول والثاني وتفكر.. ففيه خير كثير.

(14) ج1 الروض الانف، ج3 تفسير البيضاوي، ج4 تفسير الخازن، ج3 تفسير الكشاف للزمخشري، ج4 تفسير ابن كثير الدمشقي.

يـا شـاهِدَ اللهِ عَلَـيَّ فَاشْـهَدْ إنّـي علـى ديـنِ النَّـبيِّ أحْمَـدْ
مَنْ ضَلَّ في الدّينِ فَإني مُهْتَدْ[15].

إفْتَقَدَ سَيِّدُنا أبـو طـالب (سـلامُ اللهِ عليـه)، ذاتَ يـوم، يَتيمَـهُ ﷺ فلمّـا آسْتَيأسَ جَمَعَ فِتيانا مِنْ بَني هاشِمٍ وبَني المُطّلبِ بِسيوفِهم وجاءَ بِهِمُ الكَعْبَـةَ وفيها عُظَماءُ قريش وفيهم أبو جهل فَأجْلَسَ كُلاً مِنهُم بجانبِ واحـدٍ مِن أولئِكَ الطُّغاةِ وأمَرَهُـم أنْ يُراقبوا عَوْدَتَهُ فإنْ عـاد برسـولِ اللهِ ﷺ فـهو، وانْ لمْ يكُـنْ معَـهُ فَليَضْرِب كُلٌّ مِنهُم الرَّجُلَ الذّي إلىٰ جانبِهِ. وعادَ للبحثِ فَوَجَدَهُ ﷺ قائماً يُصلي أسْفَلَ مَكَةَ فوَقَعَ عليهِ وَقَبَّلَهُ وأخَذَ بيدِهِ وقالَ له (يا آبنَ أخ كِدْتَ تَأتي علىٰ قَومِكَ) ثمَّ جاءَ به فَدَخلا المسجدَ ووَقَفَ علىٰ ساداتِ قُريش والغَضَبُ في وَجْهه وقال لِفتيانِهِ (أبـرزوا مـا في أيديكـم) فـأبرزوا السُّيوفَ فقـالَ مُخاطباً رؤوسَ قُريـش (آفتقدْتُ مُحمّداً وخِفْتُ أنْ تكونوا كِدْتموهُ فأمَرْتُ هؤلاءِ لَوْ جئْتُ بدونِهِ أنْ يَضْرِبَ كُلٌّ مِنهُم صاحِبَهُ ولا يَسْتأذِني فيه ولو كانَ هاشميّا (في إشارةٍ لأبي لَهَب) فقالوا: وَهَلْ كُنْتَ فاعِلاً؟ فقال: (أي وَرَبِّ هٰذِهِ) وأوْمىٰ إلىٰ الكَعبة. فقالَ المُطعمُ بنُ عَدي بنُ نوفل: لقدْ كِدْتَ تَأتي علىٰ قَومِكَ! فقال (هُوَ ذاك). فَخَسَأتْ قُريش وَرَجَعَتْ على سيِّدِها بالعَتبِ والأسْتِعطافِ وهو لا يَحفِلُ بهم ولا يَلْتفِتُ إليهم[16].

وأنشأ (سلامُ اللهِ عليه):

ألا أبْلِـغْ قُريشـاً حيـثُ حَلَّـتْ وَكُـلُّ سَـرائِرٍ مِنـها غَـرورُ
فَـأني والضَّوابِـحِ عادِيـاتٍ وَمـا تتلـوا السَفاسِـرَةُ الشُّـهورُ
لآلِ مُحَمَّـدٍ راعٍ حفيـظٌ وَوُدُّ الصَّـدْرِ مِـنّي والضَّمـيرُ
أيَـأمُرُ جَمْعُـهُم أبنـاءَ فِـهْرٍ بِقَتْـلِ مُحَمَّـدٍ والأمْـرُ زورُ =

---

(15) ج٤ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

(16) ج١ طبقات ابن سعد، نهاية الطلب للدينوري الحنفي، الحجة لابن معد.

فَـلا وأَبِيـكَ لاظفَـرَتْ قُريـشٌ ... وَلا أَمَّـتْ رَشـاداً إذْ تُشـيرُ

أيا ابْنَ الأَنْـفِ أَنْـفَ بَـني قُصَـيٍّ ... كَـأَنَّ جَبينَـكَ القَمَـرُ المُنـيرُ

وقال (سلامُ الله عليه):

إذا اجْتمعَـتْ يَومـاً قُرَيـشٌ لِفَخْـرٍ ... فَعَبْـدُ مَنـافٍ سِـرُّها وصَميمُـها

وإنْ حَصَلَـتْ أَشرافُ عَبـدِ مَنافِـها ... ففـي هاشِـمٍ أَشـرافُها وقَديمُـها

وإنْ فَخَـرَتْ يَومـاً فَـإنَّ مُحَمَّـدا ... هُـوَ المُصْطفىٰ مِـنْ سِرِّها وكَريمُـها

تَداعَـتْ قُريـشٌ غَثُّـها وسَمينُـها ... عَلينا فَلَمْ تَظْفرْ وَطاشَتْ حُلومُها

وكُنّـا قديمـاً لانُقِـرُّ ظَلامَـةً ... إذا مـا ثَنَوْا صَعْرَ الخُدودِ نُقيمُـها

وَنَحمـي حِماهـا كُـلَّ يَـوْمٍ كَريهَـةٍ ... وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجارِها مَنْ يَرومُها

وقال (سلامُ الله عليه):

زَعِمَـتْ قُريـشٌ أَنَّ أَحْمَـدَ سـاحرٌ ... كَذَبـوا وَرَبِّ الرّاقِصـاتِ إلىٰ الحَـرَم

مـا زِلْـتُ أَعْرِفُـهُ بِصِـدْقِ حَديثِـهِ ... وَهُوَ الأمينُ علىٰ الحَرائِبِ والحَرَمْ[17]

---

(١٧) الضوابح العاديات: الخيول المغيرة، السفاسرة: السفراء، الرسل، امت: قصدت، الانف: الزعيم، الراقصات: الجمال، الحرائب: الأمانات، الحرم: الاهل.

لِيَعْلَمْ خِيارُ النّاسِ أنّ مُحَمَّداً رَسولٌ كَموسىٰ والمسيحِ آبنِ مَرْيَمِ

حين اشْتَدَّ أذىٰ قريشٍ علىٰ المسلمين، والعَبيدِ مِنهم خاصّة، نَزَلَ الوحيُ بهجرتهم بِأُمرةِ جعفر بنِ أبي طالبٍ (سلامُ الله عليهما) إلى الحبشة، فَكَتَبَ سيّدُنا أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) إلى مَلِكِها النّجاشي وكان نَصْرانياً مؤمناً:

لِيَعْلَمْ خِيارُ النّاسِ أنَّ مُحَمَّداً ... رَسولٌ كَموسىٰ والمسيحِ آبنِ مَريم

أتانا بِهَدْيٍ مِثْلَما أتيا بِهِ ... وَمَنْ يَتَّبِعْ هَدْيَ النَبيّينَ يَسْلَم

وَأنَّكُمُ تَتْلونَهُ في كِتابِكُمْ ... بِصِدْقِ حَديثٍ لا حَديثٍ مُبَرْجَم

وَأنَّكَ ما تَأْتيكَ مِنّا عِصابَةٌ ... بِفَضْلِكَ إلاّ ارْجِعوا بِالتَّكَرُّم

وَبَعَثَتْ قُريش بِعَمروا بنَ العاصِ وعِمارةَ بنَ الوليد إلىٰ الحبشة ليكيدا جعفرَ (سلامُ اللهِ عليه) وأصْحابَه عِنْدَ النّجاشي فَكَتَبَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) للنّجاشي يُحَذِّرُه المكيدَةَ وكانَ قُدومُ المسلمينَ مَطْلِعَ سَعْدٍ عليه إذْ انْتَصَرَ علىٰ أعدائِهِ. وقد سَعىٰ عَمرو بنُ العاص في إيغارِ صَدْرِهِ فَزَعَمَ أنَّ المسلمينَ يقولون في مَريمَ البُهتانَ. فاسْتَفْهَمَ النّجاشيُّ مِنْ جعفرٍ (سلامُ اللهِ عليه) فَتَلا عليه آياتٍ مِن الكتاب المجيد في حَقِّ مَريمَ كَشَفَتْ كَذِبَ عمرو وأنارَتِ السَّبيلَ أمامَ النّجاشيِّ فَأدْرَكَ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ هُوَ مَنْ بَشَّرَ به عيسى مِنْ قَبْلُ ولمّا طَلَبَ منه عَمرو أنْ يُسْلِمَهُ جَعفراً قالَ له (أتَسْألُني أنْ أعْطيكَ رَسولَ رَجُلٍ يأتيهِ النّاموسُ الأكبرُ، الذي كان يأتي مُوسى، لِتَقْتُلَه؟!) فقالَ عَمروا ساخراً: أيُّها الملكُ! أكَذلكَ هو؟ فَرَدَّ النجاشيُّ (وَيْحَك يا عَمرو! أطِعْني واتَّبِعْهُ فَإنَّهُ واللهِ لَعَلىٰ الحَقِّ وَلَيَظْهَرَنَّ علىٰ مَنْ خالَفَه كَما ظَهَرَ مُوسىٰ علىٰ فِرعونَ وجُنودِه).

فكانَ أنْ أَسْلَمَ النَّجاشيُّ علىٰ يَدِ جعفر (سَلامُ اللهِ عليه) وَقَصَدَ فيما بعد معه إلى الحِجاز لِيَتَشَرَّفَ برؤيةِ رَسولِ اللهِ ﷺ لكنَّه تُوفي في الطَّريق (رَحِمَهُ اللهُ)[18].

وَأَذِنَ اللهُ تعالى، فَأَجْهَرَ الحَمْزَةُ (سلامُ اللهِ عليه) بِإيمانِهِ فقالَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) يخاطبه:

فَصَبْرًا أبا يَعلىٰ علىٰ دينِ أَحْمَدٍ ... وَكُنْ مُظهراً للدّينِ وُفِّقْتَ صابِرا

وَحُطْ مَنْ أَتىٰ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... بِصِدقٍ وَعَزْمٍ لا تَكُنْ حَمْزُ كافرا[19]

فَقَدْ سَرَّني إذْ بُحْتَ: أنَّكَ مُؤمِنٌ ... فَكُنْ لِرَسُولِ اللهِ في اللهِ ناصِرا

وَبادِ قريشاً بالّذي قَدْ أُتيتَهُ ... جِهاراً وقلْ: ما كانَ أَحْمَدُ ساحِرا

فكانَ إجهارُ الحمزةِ (سلامُ اللهِ عليه) بإيمانِهِ، وعودةُ ابنِ العاص خائباً من سَفارته إلى الحبشة صَدْمَتان أفقدَتْ قُريشَ صوابَها فعَزَمَتْ على اغتيالِ رسولِ اللهِ ﷺ وبَلَغَ ذلكَ سَيِّدَنا أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) فَجَمَعَ آلَهُ وأدْخَلَهُم شِعباً له لِيَتَسَنّىٰ لهُمْ مَنْعَ مَكيدةَ قُريش.وَخَطَبَهُم أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) يُوصيهِم بِيَتيمِهِ ﷺ وممّا قالَه: (وَاللهِ لَئِنْ شاكَتْ مُحَمَّداً شَوْكَةٌ لَآتِيَنَّ عليكُم يا بني هاشمٍ جَميعاً).

وَأُسْقِطَ في يَدِ قُريش وَتَيَقَّنَتْ بِعَجْزِها عَنْ نَيلِ رَسولِ اللهِ ﷺ بِسوءٍ فَاجتمعَ طُغاتُها وكَتَبوا صَحيفةً تَعاقدوا فيها علىٰ مُقاطعةِ بَني هاشم وبني المطلب فلا يُنْكِحوا إليهم ولا يَبيعوا مِنهم شيئاً ولا يَقبلوا مِنهم صُلْحاً أبداً ولا تَأْخُذُهم بهم رأفةٌ حتّى يُسْلِموا رَبيبَهُم ﷺ لِلْقَتْل. وَجَعَلوا الصَّحيفة في قِرطاسٍ عَلَّقوهُ في جَوْفِ الكَعْبة. وَاشْتَدَّ أثرُ المقاطعةِ علىٰ المُحاصَرين فَانْفَقَتْ الصِّدّيقةُ خَديجةُ الكُبرىٰ

---

(18) راجع ج٢ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج٣ تاريخ ابن كثير الدمشقي، ج٣ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

(19) كافراً: أي كاتماً. الشعب: البستان، شاكت: اصابت.

(سَلامُ اللهِ عليها) جِلَّ أموالِها في حاجاتهم وكانوا لا يَتمكنونَ مِنَ البيعِ والشِّراء إلاّ في موسِمِ العُمْرَةِ مِن رَجَب وفي مَوْسِمِ الحجّ. وكَتَبَ سيِّدُنا أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) إلى قريش يُؤكِدُ نُصْرَتَه لِيَتيمِهِ ﷺ وخيبةَ مَسعى قُريش:

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنا مُحَمَّدا ... رَسولاً كَموسى خُطَّ في أَوَّلِ الْكُتْبِ
وأَنَّ عَليه في العِبادِ مَحَبَّةً ... وَلا حيفَ فيمَنْ خَصَّهُ اللهُ بالحُبِّ
وَأَنَّ الَّذي رَقَّشْتُمُ في كِتابِكُمْ ... يَكونُ لَكُمْ يَوماً كَراغِيَةِ السَّقْبِ
فَلَسْنا وَبَيْتِ اللهِ نُسْلِمُ أَحْمَدا ... لِعِزّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمانِ ولا كَرْبِ
وَلَمّا تَبِنْ مِنّا وَمِنْكُم سَوالِفٌ ... وَأَيْدٍ اتَّرَتْ بِالْمُهَنَّدَةِ الشُّهْبِ
أَلَيْسَ أَبونا هاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ ... وَأَوصى بَنيهِ بِالطِّعانِ وَبِالضَّرْبِ[20]

وَكَتَبَ (سلامُ اللهِ عليه) لقريش:

وَقالوا خِطَةً جَوْراً وَحَمْقاً ... وَبَعْضُ القَوْلِ أَبْلَجُ مُسْتَقيمُ
لِتَخْرُجَ هاشِمٌ فَيَصيرُ مِنها ... بِلاقِعَ بَطْنُ مَكَّةَ وَالحَطيمُ
فَمَهْلاً قَومَنا لا تَركبونا ... بِمَظْلَمَةٍ لَها أَمَرٌ وَخيمُ
فَيَنْدَمَ بَعضُكُم وَيَذِلَّ بَعْضٌ ... وَلَيْسَ بِمُفْلِحٍ أَبَداً ظَلومُ
فَلا وَالرّاقِصاتِ بِكُلِّ خَرْقٍ ... إِلى مَعمورِ مَكَّةَ لا يُريمُ
طِوالَ الدَّهْرِ حَتّى تَقْتُلونا ... وَنَقْتُلَكُمْ وَتَلْتَقي الخُصومُ
وَيَعلَمُ مَعْشَرٌ قَطَعُوا وَعَقّوا ... بِأَنَّهُمُ هُمُ الجِلْدُ الظَّليمُ
أَرادوا قَتْلَ أَحْمَدَ ظالِموهُ ... وَلَيْسَ لِقَتْلِهِ فيهِمْ زَعيمُ
وَدونَ مُحَمَّدٍ فِتيانُ قَوْمٍ ... هُمُ العِرْنينُ وَالعُضْوُ الصَّميمُ[21]

---

(20) راجع ج1 السيرة النبوية لابن هشام، ج3 تاريخ ابن كثير، ج3 شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج2 المناقب لابن شهر اشوب، اسنى المطالب لزين دحلان الشافعي. رَقّشَ: سَطَّرَ، راغيةَ السّقب: صوتُ الحَمْل، عَزّاء: شديدة، سوالف: أعناق.

(21) راجع ج2 المناقب لابن شهر اشوب.

وكتب (سلام الله عليه):

تَطاوَلَ ليلي بِهَمٍّ نَصَبْ ... وَدَمْعٍ كَسَحِّ السِّقاءِ السَّرَبْ

لِلَعْبٍ قُصَيٍّ بِأَحْلامِها ... وَهَلْ يَرجِعُ الحِلمُ بَعْدَ اللَّعِبْ

وقولٌ لِأَحْمَدَ: أَنْتَ امْرُؤٌ ... خَلوفُ الحديثِ ضعيفُ السَّبَبْ

وانْ كانَ أحمدُ قد جاءَهُم ... بِحَقٍّ ولَمْ يَأتِهِمْ بِالكَذِبْ

فَأَنّى، وَمَنْ حَجَّ مِنْ راكِبٍ ... وكَعْبَةِ مَكَّةَ ذاتِ الحُجُبْ

تَنالونَ أَحْمَدُ ولم تَصْطَلوا ... ظَباةَ الرِّماحِ وَحَدَّ القُضُبْ(٢٢)

وكتب (سلام الله عليه) قصيدة مطلعها:

لِمَنْ أَرْبُعٌ أَقْوينَ بَيْنَ القَدائِمِ ... أَقَمْنَ بِمَدْحاةِ الرِّياحِ الرَّمائِمِ

ومنها قوله:

بِأَنّا سُيوفُ اللهِ والمَجْدُ كُلُّهُ ... إذا كانَ صَوْتُ القَومِ وَجْيُ الغَمائِمِ

أَلَمْ تَعلموا أَنَّ القَطيعَةَ مَأْثَمٌ ... وأَمْرُ بَلاءٌ قائمٌ غَيرُ حازِمِ

وأَنَّ سَبيلَ الرُّشْدِ يُعْلَمُ في غَدٍ ... وأَنَّ نَعيمَ الدَّهْرِ لَيْسَ بِدائِمِ

فَلا تَسْفَهَنْ أَحْلامُكُمْ في مُحَمَّدٍ ... وَلا تَتْبَعوا أَمْرَ الغُواةِ الأَشائِمِ

يَمُنّونَكُمْ أَنْ تَقْتُلوهُ وإِنَّما ... أُمانِيُّكُمْ تِلْكُمْ كَأَحْلامِ نائِمِ

فَأَنَّكُمُ واللهِ لا تَقْتُلونَهُ ... وَلَمّا تَرَوْا قَطْفَ اللِّحا والغَلاصِمِ

وَلَمْ تُبْصِروا الأَحياءَ مِنكُمْ مَلاحِماً ... تَحومُ عليهِ الطَّيْرُ بعدَ مَلاحِمِ

وَتَدعوا بِأَرحامٍ أَواصِرَ بَيْنَنا ... فَقَدْ قَطَّعَ الأَرْحامَ وَقْعُ الصَّوارِمِ

زَعَمْتُمْ بِأَنّا مُسْلِمونَ مُحَمَّداً ... وَلَمّا نُقاذِفْ دُونَهُ وَنُزاحِمِ

مِنَ القَوْمِ مِفْضالٌ أَبِيٌّ على العِدى ... تَمَكَّنَ في الفَرْعَينِ مِنْ آلِ هاشِمِ

أَمينٌ حَبيبٌ في العِبادِ مُسَوَّمٌ ... بِخاتَمِ رَبٍّ قاهِرٍ في الخَواتِمِ

يَرى النّاسَ بُرْهاناً عليهِ وَهَيْبَةً ... وَما جاهِلٌ في قَوْمِهِ مِثْلُ عالِمِ =

---

(٢٢) راجع ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

نَبِيٌّ أَتَاهُ الوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... وَمَنْ قَالَ: لَا يُقْرَعْ بِهَا سِنُّ نَادِمِ

وَمَكثُوا في الشِّعْبِ ثلاثَ سنين. وَبَعَثَتْ قُرَيش إلى أَبى طالب (سلامُ اللهِ عليه): (ادْفَعْ لنا مُحمداً حتى نَقْتُلَهُ وَنُمَلِّكَكَ عَلينا) فَكَتَبَ (سلامُ اللهِ عليه) رائِعَتَهُ اللاّميّةَ التي آحتارَ النّاسُ في مَدْحِها وخيرَ ما وُصِفَتْ به أَنّها (لا يَسْتَطيعُ قَولَها إلاّ مَنْ نُسِبَتْ إليهِ) صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ. ومنها قوله:

خَليلَيَّ مَا اُذْنِي لِأَوَّلِ عَاذِلِ ... بِصَغْواءَ في حَقٍّ ولا عِنْدَ بَاطِلِ

وَلَمّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهِمُ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ العِرى والوَسائِلِ

وَقَدْ صَارَحونا بِالعَداوَةِ والأَذى ... وَقَدْ طاوعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزايِلِ

وَقَدْ حالَفوا قَوْماً عَلينا أَظِنَّةً ... يَعُضّونَ غَيْظاً خَلْفَنا بِالأَنامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسي بِسَمْراءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُراثِ المَقاوِلِ

أَعوذُ بِرَبِّ النّاسِ مِنْ كُلِّ طاعِنٍ ... عَلينا بِسوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِباطِلِ

وَبالبَيْتِ حَقِّ البَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكّةَ ... وَباللهِ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغافِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نَتْرُكُ مَكَّةً ... وَنَضْعَنُ إِلاّ أَمْرَكُمْ في بَلابِلِ

كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزي مُحَمَّداً ... وَلَمّا نُطاعِنْ دُونَهُ وَنُناضِلِ

وَنُسْلِمُهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبنائِنا وَالحَلائِلِ

وَأَنّا لَعَمْرُ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرى ... لَتَلْتَبِسَنْ أُسْيافُنا بِالأَماثِلِ

بِكَفَّيْ فَتىً مِثْلِ الشِّهابِ سُمَيْدَعٍ ... أَخي ثِقَةٍ حامي الحَقيقَةِ باسِلِ

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمالُ اليَتامى عِصْمَةٌ لِلأَرامِلِ

يَلوذُ بِهِ الهُلّاكُ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ في نِعْمَةٍ وَفَواضِلِ

فَأَبْلِغْ قُرَيشاً أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنا ... وَبَشِّرْ قُرَيشاً بَعْدَنا بِالتَّخاذُلِ

أَلَمْ تَعلَموا أَنّا بَنَينا لا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنا وَلا يَعْبَأُ بِقَوْلِ الأَباطِلِ

أَشَمُّ مِنَ الشَّمِّ الطِّوالِ إِذا آنْتَمى ... فَفي حَسَبٍ مِنْ صَوْلَةِ المَجْدِ فاضِلِ

لَعَمْري لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْداً بِأَحْمَدٍ ... وَأَحْبَبْتُهُ حُبَّ الحَبيبِ المُواصِلِ

وَجُدْتُ بِنَفْسي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ ... وَدافَعْتُ عَنهُ بِالذُرى والكَلاكِلِ =

فَأَصْبَحَ فينا أَحْمَدٌ في أُرومَةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ المُتَطاوِلِ

فَلا زالَ في الدُّنيا جَمالاً لِأَهْلِها ... وزيناً لمن والاه رب المشاكل

كَأَنِّي بِهِ فَوْقَ الجِيادِ يَقودُها ... إلى مَعْشَرٍ زاغُوا إلى كُلِّ باطِلِ

فَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبادِ بِنَصْرِهِ ... وَأَظْهَرَ دِينا حَقُّهُ غَيْرُ باطِلِ

وَلا شَكَّ أَنَّ اللهَ رافِعُ ذِكْرِهِ ... وَمُعْليهِ في الدُّنيا وَيَوْمَ التَّجادُلِ

كَما قَدْ أُوري في اليومِ والأَمْسِ جَدُّهُ ... وَوالِدُهُ رُؤيا هُما غَيْرُ آفِلِ[٢٣]

---

(٢٣) راجع ج٢ شرح النهج للمعتزلي، ج٢ إرشاد الساري للقسطلاني، ج١ المواهب اللدنية = للقسطلاني، ج١ السيرة النبوية لزين دحلان، ج١ السيرة النبوية لابن هشام، ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

صغواء: صاغية، العرى: الروابط، المزايل: المتباعد، الانامل: رؤوس الاصابع، السمراء: الرمح الأبيض العضب: السيف البتار، المقاول: المورّث، بلابل: اضطراب، بنزي: نخذل، تلتبس: تغمد، سميدع: شجاع، ذئب، الثمال: المغيث، الاباطل: الترهات، الذرى والكلاكل: الكتف والصدر، الارومة: اصل الشجرة، سورة: سطوة، راغوا: ابتعدوا، باطل: فاسد: ساقط حكمه، يوم التجادل: يوم القيامة، اوريَ: اوحي إليه في المنام، غير آفل: خالد على الأيام.

٣٢

أَلا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْساً ووالِداً ... إذا عُدَّ سادَاتُ البَرِيَّةِ أَحْمَدُ
نَبِيُّ الإِلهِ والكَرِيمُ بأَصْلِهِ ... وأَخْلاقِهِ وهُوَ الرَّشِيدُ المؤيَّدُ

ونزل الوحي أنَّ اللهَ سَلَّطَ الأَرَضَةَ فَأَتَتْ على صَحيفةِ قُرَيش وَلَمْ تَدَعْ منها سِوىٰ كلمةٍ (بِسْمِكَ اللّٰهُمَّ) فأَخْبرَ رسولُ اللهِ ﷺ عَمَّهُ (سلامُ اللهِ عليه) بذلِكَ فذهب في جَمْعٍ من بني هاشم وأتىٰ قريشا فقال (أتيتكم في أمرٍ هو نِصْفَةٌ بيننا وبينكم. إنَّ ابن أخي أخبرني، ولم يَكْذِبني قط، أنَّ اللهَ قد بَعَثَ على صَحيفَتِكم دابةً فلم تترك فيها إلّا اسمَ الله. فإن كان كما يقول فأفيقوا عمّا أنتم عليه فوالله لا نُسْلِمُهُ حتّى نموتَ مِنْ عِنْدِ آخِرنا. وإنْ كان باطلاً دَفعناه إليكم فَقَتَلْتُمْ أو اسْتَحْيَيْتُم).

فقالوا: رَضينا. ثم جاءوا بالمحفظة وفتحوها فوجدوا أنْ لم يَبْقَ من الصحيفةِ إلّا اسمُ اللهِ فقال أبو جهل: هذا سِحْرُ ابنِ أخيك! فَلَطَمَهُ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ فمه وأسقطه أرضاً وصرخ به (رُدَّها إنْ اسْتَطَعْتَ) فاخْزي اللَّعينُ وانسحبَ من المكان زَحْفاً دون أنْ يتجرّأ علىٰ الوقوفِ وقد وَضَعَ يده على فَمِهِ ليحبسَ الدَّم.

وعندئذ نَقَضَتْ طائفةٌ مِنْ قُريش أَمْرَ الصَّحيفةِ وانتهىٰ الحِصارُ فكَتَبَ (سلامُ اللهِ عليه) إلى ولده جعفر (سلامُ اللهِ عليه) وكان في الحبشة ومما قاله:

ألا هل أتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم، والله بالناس أورد
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
ألا إن خير الناس نفساً ووالداً ... إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الإله والكريم بأصله ... وأخلاقه وهو الرشيد المؤيد

وقال (سلام الله عليه) في خيبة قريش بصحيفتها:

ألا من لهم آخر الليل منصب ... وشعب العصا من قومك المتشعب
وجربى أراها من لؤي بن غالب ... متى ما تزاحمها الصحيحة تجرب
وما ذنب من يدعو إلى الله وحده ... ودين قويم أهله غير خيب
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم ... وما عالم أمراً كمن لم يجرب
وقد كان في أمر الصحيفة عبرة ... متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من صادق القول منجب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً ... على ساخط من قومنا غير معتب
فلا تحسبونا خاذلين محمداً ... لذي غربة منا ولا متقرب
ستمنعه منا يد هاشمية ... مركبها في المجد خير مركب
وينصره الله الذي هو ربه ... ويظهره يوماً بسكان يثرب[٢٤]

ورب متسائل: لقد كان سيدنا أبو طالب (سلام الله عليه) متيقناً من ظهور يتيمه ﷺ وانتشار دينه. وكلامه، شعراً ونثراً، يظهر يقينه ذاك بجلاء كقوله له ﷺ (والله لتذلن لك العرب ذل البهم لحاضنها) وقوله: (فأبلغ قريشاً أن سينشر أمرنا =

---

(٢٤) راجع ج١ طبقات ابن سعد، ج٢ تاريخ اليعقوبي، ج٢ الكامل لابن الأثير، ج١ السيرة الحلبية، ج١ سيرة زين دحلان، ج٣ تاريخ ابن كثير، ج٢ عيون الإخبار للدينوري، ج٢ الاستيعاب للقرطبي، ج١ الخصائص الكبرى للسيوطي، ج١ السيرة النبوية لابن هشام، اسنى المطالب لزين دحلان)، ديوانه (سلام الله عليه).

وأَبلغْ قُريشاً بعدَنا بالتَّخاذُل) وقولُهُ في حَقِّ ربيبه ﷺ: (كأنّي به فوقَ الجيادِ يقودُها إلى مَعْشرٍ زاغوا إلى كُلِّ باطِلٍ) (وَيَنْصُرَهُ اللهُ الذي هو رَبُّه ويُظْهِرَهُ يَوماً بسكانِ يثرب) وقوله في وصيته لقومه (كأني انظرُ إلى صَعاليكِ العَرَب وأَهْلِ الأَطرافِ والمُستضعفين مِنَ الناس قد أجابوا دَعوَتَهُ وصدَّقوا كلمتَهُ وعظّموا أمرَه فخاضَ بِهِمْ غَمراتِ الموت وصارتْ رؤوسُ قريشٍ وصناديدُها أذناباً ودُورها خَرابا وضُعفاؤها أرباباً وإذا أعظَمهُمْ عليه أحْوجُهُم إليه). فإذا كانَ ذلكَ كذلكَ، وَهُوَ كَذلكَ، ففي مَهْ كان خوفُ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ رَبيبهِ ولجوئِهِ به إلى الشِّعْب وما الحكمةُ فيه؟ وجوابُه: إنَّ اطْمِئنانَ المؤمنِ لما وَعَدَهُ اللهُ به من رِزق أو حِمايةٍ أو نَصْرٍ وغيرِ ذلك منْ لوازم البقاء لا تنفي ضَرورةَ السَّعْي لنيلِها وإعدادِ لكلِّ أمرٍ عُدَّتَهُ ما استطاعَ والتوكلَ علىٰ اللهِ في كل حال، وتلك حقيقةٌ لولاها ما كان ثمَّةَ وَجْه للدُّعاء بكل صُوَرِهِ التي زَخَرَ بها كتابُ اللهِ. فقد رَبّىٰ المولى جل شأنُهُ أولياءَه على ذلك وكمثال عليه ما خَصَّ مُحاربَةَ الأعداءِ، فهو، تعالى اسمه، يوصيهم بإعداد ما استطاعوا مِنْ عِدَّةٍ وعَدَدٍ لإرهابِ الأعْداءِ (سورة آل عمران:٦٠) ويَعِدُهُم بأمْدادِهم بملائكةٍ مسومين يقاتلون معهم (آل عمران:١٢٤-١٢٥) ثم يؤكد لهم ان كل ذلك (ما جَعَلَهُ اللهُ إلاّ بشرىٰ لكم ولتطْمَأنَّ قلوبُكم به) فـ (ما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ) (آل عمران:١٢٦) فلا علاقةَ سببيَّةَ بين العِدَّةِ والأعدادِ والإمدادِ والنَّصْر.

كما إنَّ الكتابَ أقرَّ ما كان مِنْ بعض أولياء الله مِنْ حَذَرٍ أو خَوْفٍ أو حَزَنٍ لا يُصبَرُ عليه حتى يُبَتَّ مع سَبْقِ وَعْدِهِ الموجبِ للسَّكينةِ ففي شأن أمِّ موسى قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص:٧. ومع وعده تعالى فقد ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القصص:١٠. وعليه ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ القصص/١٣. ووالد يوسف، النبي

يعقوبُ، مَعَ عِلْمِهِ، بما أُوحي إليهِ، مِنْ مَكْرِ إخْوَتِهِ به وأنّه لا ضَرَرَ عليه مِنْ مَكْرِهم وأنَّ اللهَ رافعٌ شأنِهِ ومُعيدُه إليه فإنّه كان لا يَنْفَكُّ مِنْ ترديد (يا أَسَفى على يُوسُفَ) حتّى (آبيضَّتْ عيناه مِنْ الحزن) وحينَ ليمَ على ذلك الحُزن قال (إنما أشكو بَثّي وحُزْني إلى اللهِ) يوسف:٨٤-٨٦. وراحَ يَحُثُّهم على البحثِ عن يُوسُفَ وأخيه. وحذّرهم ﴿يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ مَخافَةَ العَيْنِ والحَسَدِ مع إقراره (ما أُغني عنكم مِنَ اللهِ مِنْ شَيء) فأقره اللهُ على تحذيره مَعَ أنه (ما كانَ يُغني عنهُم مِنَ الله مِنْ شيءٍ إلاّ حاجةً في نفسِ يَعقوبَ قضاها) لِيطْمَأِن/يوسف:٦٧-٦٨، وَمَرَّ علينا وصية سُيفِ بن ذي يزن (رَحِمَهُ اللهُ) سيِّدَنا عبدَ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) بالحِرْصِ على حَفيدِهِ ﷺ وتحذيرُه مِنْ كيدِ الأعداءِ، مِنْ يهود وغيرهم، مع تأكيده بأنّ اللهَ مانِعَهُ. وكذا وصيّةُ بُحيرا الرّاهبِ سيِّدَنا أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) بالمعنى ذاتِهِ وفي ذلك إقرار لما ظهر مِنْ مُؤمني بَني هاشم كافةً والاوصياءِ منهم عامةً وخِتامُهُم سَيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) خاصَّةً مِنْ خوفٍ وحِرْصٍ على ابْنِهِمُ المُصطفى ﷺ والّذي تَجسَّد في كَتْمهم الإيمان وكان وراءَ سيرةِ شيخِ المؤمنين أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) مَعَ يَتيمِهِ ﷺ مِنْ جانبٍ ومَعَ قريشٍ مِنْ آخر.

واخيراً.. فالمتفكر في حِكْمةِ إلهامِ اللهِ سَيِّدَنا أبا طالب (سلام الله عليه) اللُّجوءَ بيتيمِهِ ﷺ إلى الشِّعْبِ يجدُ انّه مع ما في ذلك مِنْ حاجة في نَفْسِ أبى طالب قَضاها بالاطمئنان على حَبيبِهِ المُصطفى ﷺ فإنَّ فيه دليلا على حِكمةِ إلهامِهِ كَتْم إيمانِهِ مِنْ قبلُ فلوْ لم يَكْتُمْهُ حتّى عن عُمومِ بني هاشم ما تابعوه، مُؤمنُهم وكافرُهم، في اللجوءِ إلى الشِّعب مُناصرةً له، وَلَما قامَ رجالٌ مِنْ قريش بإرسالِ الأُبل إلى الشِّعب سِراً ليلاً مُحمّلةً ببعضِ احتياجاتِ المُحاصَرين لتخفيفِ وَطْأةِ الحِصارِ عنهم وَلَما بادرتْ طوائفُ مِنْ قريشٍ إلى نقضِ أمرِ الصَّحيفة فورَ افتضاحِ ما فعلتْه الأرضةُ بها.

(ما زِلْتُمْ في خَيْرٍ ما سَمِعْتُم مِنْ مُحَمَّدٍ وما اتَّبَعْتُمْ أَمْرَه فاتَّبِعوه وأَعينوه تُرْشَدوا)

حين أَحَسَّ سيِّدُنا أبو طالب (سلامُ الله عليه) بِدُنُوِّ أَجلِه جَمَعَ إليه وُجوهَ قُريش فأَوصاهم بتعظيم الكَعبة وصِلَةِ الرَّحِم وتَركِ البَغْي وصِدْقِ الحديث وأَداءِ الأمانةِ ثم قال: و(أُوصيكم بمُحَمَّدٍ خَيْراً فإنه الأمينُ في قريش والصَّدِيقُ في العَرَب.. وأيم الله كأني انظر إلى صَعاليكِ العَرب وأَهلِ الأطرافِ والمُستضعفين من الناس قد أجابوا دعوَتَه وصَدَّقوا كَلِمَتَه وعظَّموا أمرَه فخاضَ بهم غَمَراتِ الموتِ وصارتْ رؤوسُ قريشٍ وصَناديدُها أذناباً ودورُها خراباً وضعفاؤها أرباباً. وإذا أعْظمُهم عليه أَحْوَجُهم إليه[٢٥]. وأَبْعدُهم منه أَحْظاهم عِنْدَه. قد مَحَضَتْه العَرَبُ وِدادها واُصْفَت له فُؤادَها وأَعْطَتْه قِيادَها. دونكم يامَعشَرَ قُريش، إبنَ أبيكم[٢٦]. كونوا له وُلاةً ولحزبِه حُماةً. والله لا يَسْلُكُ أحدٌ سبيلَه إلاّ رَشَدَ ولا يأخذُ أحدٌ بهَدْيِه إلا سَعِدَ. ولو كان لنفسي مُدَّةٌ وفي أَجَلي تأخيرٌ لَكَفَفْتُ عنه الهَزائزَ ولَدَفَعْتُ عنه الدَّواهي)[٢٧].

ثم جَمَعَ بني هاشم وقال (لَنْ تَزالوا بِخَيْرٍ ما سَمِعْتُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ وما اتَّبَعْتُمْ أَمْرَه فاتَّبِعوهُ وأَعينوهُ تُرْشَدوا)[٢٨].

---

(٢٥) كأبي سفيان وإضرابه.

(٢٦) أي الزموه ﷺ.

(٢٧) ج١ السيرة النبوية، لزين دحلان، ج١ السيرة الحلبية، ج١ الروض الانف، ج١ تاريخ الخميس.

(٢٨) ج١ الخصائص الكبرى للسيوطي، تذكرة الخواص لابن الجوزي، اسنى المطالب لدحلان، ج١ السيرة الحلبية، ج١ سيرة زين دحلان، ج١ الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدي.

أنباءُ الغيبِ وآياتُ الكتابِ المبينِ في كلامِ شيخِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه)

ومِسْكُ ختامِ هذا الفصلِ انّه لا ينبغي للمؤمنِ وقد مَنَّ اللهُ عليه بابَ إطّلاعٍ على شيءٍ منْ سيرةِ شيخِ المؤمنين سيّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) أنْ يَمُرَّ على تلكَ السّيرةِ القُدسيّةِ دونَ التّبصرِ بما في كلامِهِ منْ أحاديثٍ بالغيبِ وتَضْمينٍ لنصوصٍ قُرآنيةٍ لم يَنْزِل بعضُها إلاّ بعد رَحيله (سلامُ اللهِ عليه) وفي ذلك من الإعجازِ ما فيه فانظر، سَدَّدَكَ اللهُ، كمثال على ذلك قوله لزوجته (سلامُ اللهِ عليها) حينما حَدَّثتْه بخبرِ النّخلةِ بحقِّه ﷺ:(هو إنما يَكونُ نَبياً) وحين خَطَبَ الصِّدّيقةَ خديجةَ الكبرى (سلامُ اللهِ عليها):(وله بَعْدُ نبأٌ شائعٌ وخَطْبٌ جليلٌ) تجده (سلامُ اللهِ عليه) يبشّر ببعثةِ رَبيبِهِ ﷺ.

وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه): (إن شَأْنَهُ أعظمُ شَأْن ومكانهُ منْ ربِّه أعلى مكان (ولا شَكَ أنَّ اللهَ رافعُ أمرِهِ ومُعليه في الدّنيا ويومَ التّجادُل) تجد تأويل قوله تعالى: (وَيَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُودا) و(لَسَوْفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى) و(ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ).

وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه) (فأيَّدَهُ ربُّ العبادِ بنَصْره وأظْهَرَ ديناً حَقُّه غيرُ باطِل) و(يَنْصُرَهُ اللهُ الذي هو رَبُّه ويُظهره يوماً بسكّانِ يثرب) تأويلُ قولِهِ تعالى: (وينصُرَكَ اللهُ نصراً عزيزاً) و(هو الّذي أيَّدَكَ بنصرِهِ وبالمؤمنين) وإخبار بأنَّ يثربَ ستكونُ دارَ هِجْرَتِهِ ﷺ.

وفي قوله لزوجته (سلامُ اللهِ عليها):(وأنْتِ تَلِدين لَهُ وَزيراً بعد يَأْس) إخبارُ بميلادِ أميرِ المؤمنينَ (سلامُ اللهِ عليه) قبل ثلاثين عاماً مِنْ وُقوعِهِ،وفي يومِ ولادتِهِ قال (أيّها الناسُ وُلِدَ في الكعبة وَليُّ الله) وجاء عَيان ذلك الخَبَرُ بعد رُبْعِ قرن حين تَصَدَّقَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وهو يُصلي فنَزَلَ قولُه تعالى (إنّما وليُّكُم الله

وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ)[٢٩] المائدة : ٥٥-٥٦.

وأَخْبَرَ (سلامُ اللهِ عليه) أَنَّ قُرَيشاً لَنْ تَنال مِنْ يتيمه ﷺ ما دامَ حياً بقوله:

واللهِ لَنْ يَصِلوا إليكَ بَجَمْعِهِم ... حتّى أُوسَّدَ في التُّرابِ دَفينا

وقوله:

أَنِّي تُضامُ وَلَمْ أَمُتْ ... وأَنا الشُّجاعُ العِرْبَدُ

وأَخْبَرَ (سلامُ اللهِ عليه) أَنَّ قُرَيشاً سَترى الوَيْلَ والثُّبورَ على أيدي بَني هاشم بِتَعَرُّضِها لرسولِ اللهِ ﷺ فقال:

أَرادوا قَتْلَ أَحْمَدَ ظالِموهُ ... وَلَيْسَ لِقَتْلِهِ فيهِمْ زَعيمُ
وَدونَ مُحَمَّدٍ فِتيانُ قَوْمٍ ... هُمُ العِرنَينِ والعُضْوُ الصَّميمُ)
وقال: (فَإِنَّكُم واللهِ لا تَقْتُلونَهُ ... وَلَمّا تَرَوْا قَطْفَ اللِّحا والغَلاصِمِ
ولَمْ تُبْصِروا الأَحياءَ مِنْكُمْ مَلاحِماً ... تَحومُ عليهِ الطَّيْرُ بَعْدَ مَلاحِمِ)

---

(٢٩) اجمع المفسرون على نزول هاتين الآيتين بحقِّ أميرِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) في واقعةِ تَصَدُّقِهِ بالخاتمِ راجع في ذلك: ج١ تفسير الخازن، ج٢ تفسير ابن كثير، ج٢ الرياض النضرة للمحب الطبري، ج٣ مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ج٦ تفسير الطبري، ج٧ البداية والنهاية لابن كثير، تفسير الواحدي (أسباب النزول)، الفصول المهمة لابن صباغ المالكي، مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي، تذكرة الخواص لابن الجوزي، كفاية الطالب للكنجي الشافعي، المناقب للموفق الخوارزمي، نور الأبصار للشبلنجي وجمع الجوامع للسيوطي وغيرهم.

وفي هذه الواقعة قال حسان بن ثابت:

أَبا حَسَنٍ تَفْديكَ نفسي ومُهْجَتي ... وكُلُّ بَطيءٍ في الهُدى ومُسارِعِ
أُيذهَبُ مَدحي في المحُبِّينَ ضائعاً ... وما المدحُ في ذاتِ الإلهِ بِضائعِ
فأنتَ الَّذي أَعْطَيْتَ إذْ أنتَ راكِعٌ ... فَدَتْكَ نفوسُ القَومِ يا خَيْرَ راكِعِ
بِخاتَمِكَ الميمونِ يا خَيْرَ سَيِّدٍ ... وَيا خَيْرَ شارٍ ثُمَّ يا خَيْرَ بائِعِ
فَأَنْزَلَ فيكَ اللهُ خَيْرَ وَلايَةٍ ... وَبَيَّنَها في مُحْكَماتِ الشَّرائِعِ

وقالَ: (فَلَسْنا وَبَيْتِ اللهِ نُسْلِمُ أَحْمَدا ... لَعَزّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمانِ وَلا كَرْبِ
ولمّا تَبِنْ مِنكُمْ وَمِنّا سَوالِفٌ ... وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالمُهَنَّدَةِ الشُّهْبِ)
وقالَ:(واللهِ لا أُخْذَلُ النَّبيَّ ولا ... يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِيَّ ذو حَسَبِ)
وقال:(كَذِبْتُمْ وبيتِ اللهِ نُبْزي مُحَمَّداً ... وَلَمّا نُطاعِنْ دونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتّى نُصَرَّعَ حولَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبنائِنا والحَلائِلِ
وَأَنّا لَعَمْرِ اللهِ إنْ جَدَّ ما أَرَىٰ ... لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيافُنا بِالأَماثِلِ)

ففي بدر بارزَ أميرُ المؤمنين والحمزةُ (سلامُ اللهِ عليهما) عُتبةَ بنَ ربيعة وآبنَه الوليدَ فقتلاهما. وبارزَ أبو عُبيدة بنُ الحارث بنِ المطلب (رَحِمَهُ الله) شيبةَ فجَرَحَ شيبةُ رِجْلَه فاسْتَنْقَذَهُ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وقَتَلَ شيبةَ وجاء بأَبي عُبيدةَ ورِجْلُهُ تَشْخَبُ دماً فقال أبو عبيدة لرسولِ الله ﷺ: (يا رسولَ اللهِ لو كان أبو طالب حَيّاً لَعَلِمَ أنّه قَدْ صَدَقَ إذْ قال:

كَذِبْتُم وبَيْتِ اللهِ نُبْزي مُحَمَّداً ... ولمّا نُطاعِنْ دونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتّى نُصَرَّعَ حولَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنائِنا والحَلائِلِ)[٣٠]

وحين نَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ لقتلىٰ المشركينَ في بدر قالَ: (لو أَنَّ عمي أبا طالب حَيٌّ لَعَلِمَ أَنَّ أَسْيافَنا قد أَخَذَتْ بالأَماثل) يريدُ قولَه:

وأَنّا لَعَمْرِ اللهِ إنْ جَدَّ ما أَرَىٰ ... لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيافُنا بالأَماثِلِ[٣١]

وقال (سلامُ اللهِ عليه):

فَلا تَحْسَبونا خاذِلينَ مُحَمَّداً ... لِذي غُربَةٍ مِنّا ولا مُتَقَرِّبِ
سَتَمْنَعُهُ مِنّا يَدٌ هاشِميَّةٌ ... مُرَكَّبُها في المَجْدِ خَيْرُ مُرَكَّبِ

وقال (سلامُ الله عليه):

كَأَنّي بِهِ فَوقَ الجِيادِ يَقودُها ... إلىٰ مَعْشَرٍ زاغوا إلىٰ كُلِّ باطِلِ=

---

(٣٠) راجع ج٣ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.
(٣١) راجع ج١٧ الأغاني لابن فرج الأصفهاني، ج١ السيرة الحلبية.

فَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِيناً حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ
فَأَبْلِغْ قُرَيْشاً أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا وَيَبْشُرْ قُرَيْشاً بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ

وأُخْبِرَ (سلامُ اللهِ عليه) أَنَّ لِواءَهُ ﷺ سيكونَ بيدِ ابنِهِ أَميرِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) في معاركِهِ ضِدَّ المشركين وأظهرَ أَسَفَهُ وحَسْرَتَهُ لأَنَّ كُلَّ ما أُخْبِرَ به واقعٌ بَعْدَ موته (سلامُ اللهِ عليه) فقال:

آهٍ أُرَدِّدُ حَسْرَةً لِفِراقِهِ إِذْ لَنْ أَراه وَفَرْعُ مَجْدِهِ بَاسِقُ
أَتُرَى أَراه واللِّوَاءُ أَمَامَهُ وعَلِيٌّ ابْنِي لِلِّوَاءِ مُعَانِقُ
أَتُراه يَشْفَعُ لي ويَرْحَمُ عَبْرَتي هَيْهاتَ إِنِّي لا مَحَالَةَ زَاهِقُ[٣٢]

ثُمَّ إِنَّ مِنْ بَدائعِ ما وردَ في أخبارِهِ بالغَيْبِ قولُهُ (سَلامُ اللهِ عليه) مُخاطِباً قُرَيْشاً:

تَكُونُ لِغَيْرِكُمْ عِبْرَةً وَرَبِّ المَغَارِبِ والمَشْرِقِ[٣٣]

يريدُ (سلامُ اللهِ عليه) (رَبُّ المغاربِ والمشارقِ) وإِنَّما أُفْرِدَ لضرورةِ الشِّعر فضلاً عن دلالة الجمع السابق. هذا في عصرٍ لَمْ يَكُنْ هناك ثَمَّةَ مُعْتَقَدٌ بغيرِ مَشْرِقٍ واحِدٍ يَعُمُّ الأرضَ ومَغْرِبٍ يَخْلُفُهُ حتّى جاءَ الكتابُ المجيد فذكرَ أَنَّ ثمةَ مَشارقَ ومغاربَ ففي الآية ١٣٧ من الأعراف (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) وفي الآية ٤٠ من المعارج (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ والمَغَارِبِ) واثبتَ العلمُ ذلك بعد قرونٍ شَأْنَ الكثيرِ مِنْ الحقايق العلمية التي وَرَدَتْ في كتابِ اللهِ أو على أَلْسِنَةِ أَوليائِهِ مِنْ آلِ أبي طالب صَلواتُ اللهِ عليهم أَجْمَعين.

---

(٣٢) زهقت النفس: اضمحلت وخرجت كناية عن الموت. وسيِّدُنا أبو طالب (سلام الله عليه) يؤكد انَّه ميتٌ قبل ظُهورِ ربيبه ﷺ وأَنْ لا جدوى من الشفاعة في هذا الأمر مشيراً لقوله تعالى: (إذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

(٣٣) ستأتي الأبيات لاحقاً.

وقد تَضَمَّن كلامُ سيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) مَعانٍ ونُصوصاً قرآنية بعضُها مَدَنيّ نزلَ بعدَ رحيلِهِ. ففي قولِهِ (سلامُ اللهِ عليه): (ولا شَكَّ انَّ اللهَ رافعُ ذِكْرِهُ ومُعليهِ في الدنيا ويومَ التَّجادُلِ) أرادَ يومَ الحسابِ (يومَ تأتي كُلُّ نفسٍ تُجادِلُ عَن نَفسِها) وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه):

فاصْدَعْ بأمرِك ما عليكَ غَضاضَةٌ ... وآبشِرْ بذاكَ وَقَرَّ منْكَ عُيونا

مَضمون قولَه تعالى (فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرْ وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكينَ أنّا كَفَيْناكَ المُستَهْزِئينَ) الحجر/ ٩٤،٩٥. وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه): (ولقدْ عَلِمْتُ بِأنَّ دينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البَريةِ دِينا) يُشير لقولِهِ تعالى: (وأنزلنا إليكَ الكِتابَ بالحقِّ مُصَدِّقا لما بيْنَ يديْه مِنَ الكِتابِ ومُهَيْمِناً عليه) المائدة/٤٨.

وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه):

أوْ تؤمِنوا بكتابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ ... عَلىٰ نَبيٍّ كَموسىٰ أو كَذي النّونِ

وَصَفَ الكتابَ بالعَجَبِ كما في قوله تعالى (أنّا سَمِعْنا قُرآناً عَجَبا) الجن/١.

وفي قولِهِ (سلامُ اللهِ عليه) (فقلتُ لَهُمْ اللهُ رَبّي وَناصري) آستشهادٌ بقوله تعالى (وكَفىٰ بِرَبِّكَ هادياً ونَصيرا) الفرقان/٣١. (إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم) محمد/٧ وقوله (سلامُ اللهِ عليه):

لِيَعْلَمْ خِيارُ النّاسِ أنّ مُحَمَّداً ... رسولُ كموسىٰ والمسيحِ آبنِ مَرْيَمَ

أتانا بِهَدْيٍ مِثْلَما أتيا بِهِ ... وَمَنْ يَتَّبِعْ هَدْيَ النبيّينَ يَسْلَمِ

مُرادُ قولِهِ تعالى: (وَجَعَلْناهُم أئِمَةً يهدونَ بأمْرِنا) الأنبياء/٧٣.

وقولُه (سلامُ اللهِ عليه)

وإنَّكُمْ تَتلونَهُ في كِتابِكُمْ ... بِصِدْقِ حَديثٍ لا حَديثٍ مُبرْجَمِ

وقوله:

ألَمْ تَعْلَمُوا أنّا وَجَدْنا مُحَمَّداً ... رَسولاً كَموسىٰ خُطَّ في أوَّلِ الكُتْبِ

تَضْمينٌ لقولهِ تعالى: (الّذين يَتّبِعونَ الرَّسولَ النَبيَّ الأُميَّ الّذي يَجِدونَهُ مَكْتوباً عِنْدَهُم في التَّوْراةِ والإنْجيلِ) الأعراف/١٥٧.

ومما تجدرُ مُلاحَظتهُ أنَّ سيّدَنا أبا طالب (سلامُ اللهِ عليه) قد ميَّزَ في شعره بين مُصْطَلَحيْ النبيّ والرَّسولِ فهو (سلامُ اللهِ عليه) يقول: (ليعلمْ خيارُ الناس ان محمداً رسولاً كموسى والمسيح ابن مريم) ويقول: (أو تؤمنوا بكتابٍ منزل عجب على نبيٍ كموسى أو كذي النون) إذ أنّ ذا النون كان نبياً ولم يكن رسولاً.

وانّه (سلامُ اللهِ عليه) أوّلُ من لَقّبَ يتيمَه ﷺ بالمصطفى بقوله: (وإنْ فَخِرَتْ يوماً فإنَّ مُحَمَّداً هوَ المُصطفىٰ مِنْ سِرِّها وكَريمِها) يريد بذلك بني هاشم والذين قالَ (سلامُ اللهِ عليه) فيهم:

وما ذاكَ إلاّ سُؤْدَدٌ خَصّا بِهِ ... إلٰهُ العِبادِ وٱصطفانا لَهُ الفَخْرُ

في إشارةٍ إلى قولهِ تعالى: (إنَّ اللهَ ٱصْطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ علىٰ العالمين) آل عمران/٣٣ فبنو هاشم هُمُ بقيةُ آلِ إبراهيمَ وآلُ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) هُمُ المصطفونَ منْ بَني هاشم وفيهم كانَ قولُهُ تعالى: (ثُمَّ أوْرَثنا الكتابَ الّذينَ ٱصْطَفينا مِنْ عِبادنا) الملائكة/٣٢ وقوله تعالى: (سَلامٌ علىٰ عبادِهِ الّذينَ ٱصْطَفىٰ) الزمر/٥٥ وهو مراده بقوله (سلامُ اللهِ عليه) (أنْتَ النبيُّ مُحَمَّدٌ قَرْمٌ أغَرُّ مُسَوَّدٌ لِمُسَوَّدينَ أكارِمٍ طابُوا وَطابَ المَوْلِدُ) راجع ص:٥ والمُسَوَّدُ مَنْ سَوَّدَهُ اللهُ علىٰ الآخرين وهو مُرادُ الأُصْطِفاء.

وَتابعَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) أباه في تَلْقيبِ رَسولِ اللهِ ﷺ بالمُصطفىٰ فقالَ في رَثاءِ أبيه (سلامُ اللهِ عليهما):

أبا طالبٍ عِصْمَةَ المُسْتَجيرْ ... وَغَيْثَ المَحولِ ونُورَ الظَّلَمْ

لَقَدْ هَدَّ فَقْدُكَ أهْلَ الحِفاظْ ... فَصَلّىٰ عَلَيْكَ وليُّ النِّعَمْ

وَلَقّاكَ رَبُّكَ رِضْوانَهُ فَقَدْ كُنْتَ لِلْمُصْطَفى خَيْرَ عَمْ[٣٤]

وفي قولِ سيّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه):(وما جاهلٌ في قَوْمِهِ مثلُ عالِمِ) تأويلُ قولِهِ تعالى: (قُلْ هَلْ يَستوي الّذينَ يعلمونَ والّذينَ لا يعلمون) الزمر/١٠ إذْ (هلْ) هُنا إستفهامٌ إستنكاري يُراد بها (لا). وقوله: (وقد حالَفوا قَوْماً علينا أُظِنَّةً يَعْضُونَ غَيْظاً خَلْفَنا بِالأَنامِلِ) يريدُ بهم الكافرينَ والمنافقينَ الّذين نَزَلَ فيهم قولُهُ تعالى (وإذا لَقوكُمْ قالوا آمَنّا وإذا خَلَوْا عَضّوا عليكُم الأَنامِلَ مِنَ الغَيْظِ) آل عمران/١٢٩ وضَمَّنَ قولَهُ (سلامُ اللهِ عليه) (أعوذُ بربِّ الناس.... وباللهِ إنَّ اللهَ ليسَ بِغافِلٍ) قولَهُ تعالى (قُلْ أعوذُ بربِّ الناسِ) و(وما اللهُ بغافِلٍ عما تعلمون) البقرة/٧٤ وضَمَّنَ قولُهُ (سلامُ اللهِ عليه):

وأيَّدَهُ رَبُّ العِبادِ بِنَصْرِهِ وأَظْهَرَ ديناً حَقُّهُ غَيْرُ باطِلِ

قولَه تعالى: (هُوَ الّذي أيَّدَكَ بِنَصْرِهِ) الأنفال/٦٢ و(يُظْهِرَهُ على الدّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكون) التوبة/٣٣.

وضَمَّنَ قولَهُ (سلامُ اللهِ عليه) (وأنْ كُلَّ ما لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ) قولَه تعالى (فأمّا الزَّبَدُ فيذْهَبُ جُفاء) الرعد/١٧.

وفي قوله (سلامُ اللهِ عليه) (إنَّ المالَ ظِلٌّ زائِلٌ وعارِيةٌ مُسْتَرْجَعة) معنى قولِهِ تعالى (ما عِنْدَكُم يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللهِ باق) النحل/٩٦ وقوله: (وأَنْفِقوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفينَ فيه) الحديد/٧[٣٥].

وَضَمَّنَ قولَهُ (سلامُ اللهِ عليه)

وَخَيْرُ بَني هاشِمٍ أَحْمَدُ رَسولُ الإِلهِ عَلى فَتْرَةِ

---

(٣٤) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي، الحجة لابن معد، ديوان شيخ الابطح (سلامُ اللهِ عليه).

(٣٥) ظل زائل: متنقل، عارية مُسترجعة: ما تملك منفعته وهو تأويل (مستخلف).

قَوْلَهُ تعالى: (قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ) (المائدة/١٩) وَأَلْمَحَ (سلامُ اللهِ عليه) إلىٰ ما جَرىٰ علىٰ قَومَيْ هودٍ وصالحٍ بقولِهِ:

كَما نالَ مَنْ كانَ مِنْ قَبلِكُمْ ثَمودَ وعادٍ ومُاذا بَقي
غَداةَ أتاهُمْ بِها صَرْصَرٌ وناقَةُ ذي العَرْشِ قَدْ تَسْتَقي

ومن كتاب الله (قالَ هٰذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلومٍ وَلا تَمَسّوها بِسوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظيمٍ فَعَقَروها فَأَصْبَحوا نادمينَ فَأَخَذَهُمُ العَذابُ) الشعراء/١٥٥-١٥٨ وفيه (فَأَمّا ثَمودُ فَأُهْلِكوا بِالطّاغِيَةِ وَأَمّا عادٌ فَأُهْلِكوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) الحاقة/٥-٦. هذا وقد ورد في كلام سَيِّدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) وَصْفُ ربيبه ﷺ بالرَّسولِ أَوْ النَّبي أَكْثَرُ مِنْ ١٤ مرة ومِنْ أَشْمَلِ ما ضُمَّ لتلكَ الصِّفَةِ مِنْ تَعريفٍ قولُهُ (نبيٌّ أتاهُ الوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ) يُريد (سَلامُ اللهِ عليه) بذلك قولَه تعالى (وما يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ إِنْ هو إِلاّ وَحْيٌ يُوحىٰ) النجم/٣-٤ وأخيراً، فَمِمّا قالَه (سلامُ اللهِ عليه) في قصيدته الّتي عَرَّضَ بها بِبَني أُمَيَّةَ بِشِقَّيْهِما بَني عَبْدِ شَمْسٍ مُمَثَّلين بالوليد بنِ عقبة وبَني نوفلٍ مُمَثَّلين بِمُطْعَم بنِ عَدي:

فَوَاللهِ لا تَنْفَكُّ مِنّا عَداوَةٌ وَلا مِنْهُمُ ما كانَ مِنْ نَسْلِنا شِفْرُ

فَكانَ أميةُ وحَبيبُ أعداءً لهاشم (سَلامُ اللهِ عليه) وَعَنْبَسَةُ (حَرْبُ) والعاصُ أعداءً لِعَبْدِ المطلب (سلامُ اللهِ عليه) وأبو سفيان (صَخْرُ) والحَكَمُ أعداءً لأبى طالب ولرسولِ اللهِ ﷺ.

كافِلُ اليَتيمِ وصَحابَةُ السَّوْءِ

أراكِ، فَدَيْتُكِ، دُونَ الْوَرى ... مُنى النَّفْسِ أَنْتِ.. وَآمالَها
وَبَيْنَكِ إِدْبارَ رَوْحِ الحَيا ... وَوَصْلَكِ، يا لَيلُ، اقبالَها
وَهَبْتُكِ روحي وَأَعْلَمْ كَمْ ... أَبَحْتُ، لِضَعْفي، إِذْلالَها
فَدَعْكَ مِنَ الزَّعْمِ أَنّي سَلَوْ ... تُكِ وانْظُري مُهَجَتي مالَها
أَضَرَّ بِها قَوْلُ صُحْبَةِ سَوْ ... ءٍ حاكى، بِخُبْثِهِ، أَفْعالَها
تَرى إِنَّ هنداً أَنابَتْ بِحَقٍّ ... وَأَصلَحَ رَبُّ الوَرى حالَها
وإِنَّ عُدَيّاً وتَيْماً ... وَآلَ أُمَيَّةَ وَأَمْثالَها
وَمَنْ في عَداءِ بَني فاطِمٍ ... يُتابِعُ نُولُهُ مِنْوالَها
هُداةً وإِنْ كانَ دَيْدَنُهُمْ ... فَسادَ الرَّعِيَّةِ وَإِضْلالَها
وَلَوْ قيلَ: أَنَّ أَبا المُرْتَضى ... وَسَيِّدَ مَكَّةَ وَمِفْضالَها
وَكافِلَ طَهَ وَمَنْ رَدَّ عَنْـ ... ـهُ طَغْوى قُرَيْشٍ وَجُهّالَها
قَضى مُؤْمِناً قيلَ ذي بِدْعَةٌ ... وَنالَ الصَّحابَةَ ما نالَها
مِنَ الغَيْضِ ما إِنْ يَنوءُ بِها ... وَأَنّى لَها الصَّبْرُ أَنّى لَها
لَئِنْ ساءَها ذِكْرُ آلِ النَّبِيْ ... فَنِصْفُ عَميدِهِمُ هالَها
فَعادَتْ كَمَنْ صُعِّدَتْ في السَّما ... وَراحَتْ تُكابِدُ أَهْوالَها[٣٦]
كَأَنَّ السَّما أُسْقِطَتْ كِسَفاً ... وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها

= أنابت: تابت، عُدى وتَيم: الجبتُ والطّاغوتُ، نول: آلة الحياكة، ديدن: طبع، طغوى: ظلم، ينوء بها: تعجز عن تحمله، نصف: انصاف

(٣٦) انظر الآية ١٢٥ من سورة الأنعام ففيها مراد هذا البيت.

الفَصْلُ الرّابِعُ

شَهادات

مَنْ لا يَنْطِقونَ عَنْ الْهَوىٰ

بِحَقِّ عَميدِهِم

(سَلامُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعين)

(لِمِثْلِ هٰذا فَلْيَعْمَلْ العامِلُون)

الصّافات /٦١

لا يَجدُ مَنْ أعملَ العقلَ والقلبَ معاً فيما مرَّ مِنْ سيرة سيِّدِنا ومولانا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) إلاّ انْ يقولَ إقراراً بِمَنِّ اللهِ عليه ولُطفه له: لقد بانَ الصبحُ لذي عَيْنين والحمدُ للهِ الذّي هَدانا لهذا وما كُنا لِنهتدي لَولا انْ هَدانا اللهُ ولا حاجةً لمزيدِ أدِلّة إلاّ انْ تكونَ شهاداتُ أولي العِلْم الّذين آسْتَشْهَدَ بهم مُصْطَفيهم على وَحدانيتِهِ إعلاءً لِكَلِمَتهم وإعلاناً لِشأنِهم وإعلاماً بِخَطَرِهِم[1]: المُصْطفى الذي جَعَلَه اللهُ شهيداً على مَنْ سَبَقَهُ مِنْ أنبياءَ ورُسُل هُمْ شُهداءُ على أقوامِهِم[2] وأهْلِ بَيتِهِ الّذين عَصَمَهُمُ مِنَ الزّلل وآمَنَهُمْ مِنَ الفِتَنْ وطَهَّرهُمْ مِنَ الدَّنَسِ وأذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرهُم تَطهيرا[3] وقَرَنَ طاعَتَهُمْ بِطاعَتِهِ[4] وجَعَلَ مَوَدَّتَهُمْ أجْرَ رِسالَةِ خِتام رُسُلِهِ صلى الله عليه وآله[5].

---

(1) قوله تعالى: (شَهِدَ اللهُ انَّهُ لا اله إلاّ هو والملائكةُ وأولو العلم) آل عمران/١٨

(2) قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا مِنْ كل أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) النساء/٤١

(3) قوله تعالى: (إنما يُريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرا) الأحزاب/٣٣، راجع ج١ الكشاف للزمخشري، ج٢ شواهد التنزيل للحسكاني، ج٢ مفاتيح الغيب للرازي، ج٣ تفسير ابن كثير الدمشقي، ج٥ تفسير الخازن، أسباب التنزيل للواحدي.

(4) قوله تعالى: (وأطيعوا اللهَ واطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم) النساء/٥٩١، راجع ج٣ تفسير البحر المحيط لابي حيان الأندلسي، ج٣ الدر المنثور للسيوطي، ج٥ تفسير النيسابوري وج١ مفاتيح الغيب لابي بكر الرازي.

(5) قوله تعالى: (قل لا أسلُكم عليه اجراً إلاّ المودة في القربى ومَنْ يقترفْ حَسَنةً نَزِدْ له فيها حُسناً إنّ الله غفور شكور) الشورى/٢٣، راجع ج٣ شواهد التنزيل للحسكاني، ج٤ فتح القدير للشوكاني، ج٦ الدر المنثور للسيوطي، ج١٦ تفسير القرطبي أبو بكر يحيى بن سعدون ج٢٥ تفسير الطبري محمد بن جرير.

وَمَثَلُهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ في قَوْمِهِ كَمَثَلِ سَفينَةِ نوح في قومِهِ مَنْ رَكِبَها نَجا ومَنْ تَخَلَّفَ عنها غَرِقَ وَهَلَكَ[٦] وكَمِثلِ بابِ حِطَّة في قومِ مُوسى مَنْ دَخَلَهُ كان مِنَ الآمنين[٧] وجَعَلَهُم عُدولَ الكتابِ وَاَشْتَرَطَ التَّمَسُّكَ بِهِما مَعاً للأَمانِ مِنَ الضَّلال[٨].

---

(٦) انظر ج١ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج١ عيون الإخبار للدينوري، ج٢ الخصائص الكبرى للسيوطي، ج٣ المستدرك على الصحيحين، ج٣ تلخيص المستدرك للذهبي، ج٤ حلية الأولياء لابن نعيم، ج٥ كنز العمال، ج٦ مجمع الزوايد.

(٧) ج٢ المعجم الصغير الطبراني، ج٢ فرايد السمطين للجويني، ج٩ مجمع الزوايد، الصواعق لابن حجر، كفاية الطالب للكنجي، بنابيع المودة للقندوزي، إحياء الميت للشبراوي، الاربعين حديث ليوسف النبهاني.

(٨) قوله ?: (تركتُ فيكم ما أَنْ تَمَسَّكْتُم بهما معاً لَنْ تَضِلوا مِنْ بَعْدي:كتابَ اللهِ وعِترتي أَهلَ بيتي). راجع ج٤ صحيح مسلم، ج٥ صحيح الترمذي ج٢ مسند أحمد، ج٢ سنن الدارمي، ج٣ المستدرك للنيسابوي، ج٢ الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٢/١٠ السنن الكبرى للبيهقي، ج١ جامع الأصول وج٢ أسد الغابة لابن الأثير الجزري، ج١/٦ تفسير الخازن، ج٩ تفسير ابن كثير الدمشقي المطبوع بهامش فتح البيان، ج٢ الدر المنثور للسيوطي، ج٢ منهاج السنة لابن تيمية، ج٣ تلخيص المستدرك للذهبي، ج٢ الخصايص الكبرى للسيوطي، الصواعق المحرقة لابن حجر، ج١ كنز العمال للمتقي الهندي، ج٣ السيرة النبوية لزين دحلان بهامش السيرة الحلبية، ج٢ معالم التنزيل للبغوي، ج٢ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج٢ انساب الأشراف للبلاذري، ج٩ مجمع الزوايد لنور الدين الهيثمي، ج١ سنن ابن ماجة، ج٨ تاريخ بغداد للخطيب، ج١ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج٧ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، ج٢ فتح القدير للمناوي، تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي، ج١ حلية الأولياء لابي نعيم الاصبهاني، الخصايص العلوية للنسائي، ج٥ منتخب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر الدمشقي، المنتقى من سيرة المصطفى لسعيد الشافعي، الكشف والبيان لابي إسحاق الثعلبي النيسابوي.

ولا حاجة لبيان ان هذا الحديث الشريف يدل عن ان مَنْ رَدَّ على آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فقد رَدَّ على كتابِ اللهِ فهو في أسفلِ درك من الجحيم لادِّعائِهِ الإيمانَ وكَتْمِهِ الكُفرَ.

فَلِنَسْتَمِعْ لشيءٍ مِنْ شَهاداتِ آلِ أبى طالبٍ مُحمّدٍ وآله ﷺ، في حَقِّ عَميدهم شَيْخِ المؤمنينَ وسَيِّدِهم ومَولاهم أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) وَلَنِعْمَ الشّهاداتِ شهاداتٌ مَنْ آتاهُمُ اللهُ ما لَمْ يَأْتِ أحَداً مِنَ العالمينَ وَلَنِعْمَ الشّهاداتِ.. شهاداتُ مَنْ لا يَنطِقونَ عنْ الهَوىٰ.

أولاً: شَيءٌ مِنْ شَهادات رَسولِ اللهِ ﷺ في حَقِّ عَمِّهِ وكافِلِهِ وناصِرِهِ شَيْخِ المؤمنين سَيِّدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه):

١. عندما أُخبرَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) رَسولَ الله ﷺ بموتِ سَيِّدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) بكىٰ بُكاءً شديداً ثم قالَ (اذهبْ فَغَسِّله وكَفِّنْهُ وأَعْلمني). ففَعَلَ فَاعْتَرَضَ رسولُ اللهِ ﷺ النَّعْشَ وهو علىٰ رُؤوسِ الرِّجالِ وقال: (يا عَم: كَفَلْتَ يَتيماً وَرَبَّيْتَ صَغيراً وَنَصَرْتَ كَبيراً فَجَزاكَ اللهُ عَنّي خَيْراً)[٩].

٢. وَسَأَلَهُ عَمُّهُ عَبّاسُ بنُ عبدِ المطلب: ماذا تَرجو لِأَبي طالب! فقالَ ﷺ (كُلَّ الخَيْرِ أَرْجُوه لِعَمّي)[١٠].

٣. وأَتىٰ جبرائيلُ رسولَ الله ﷺ فقال: (يا مُحَمّد إنَّ رَبَّكَ يَقرؤُكَ السَّلامَ ويقولُ لَكَ: إنَّ أصحابَ الكَهْفِ أَسَرّوا الإيمانَ وأَظْهروا الشِّرْكَ فَآتاهُمُ اللهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتينِ وإنَّ أبا طالب أَسَرَّ الإيمانَ وَأَظْهَرَ الشِّرْكَ فَآتاهُ اللهُ أَجْرَهُ مَرَّتَيْن)[١١].

٤. وحينَ أرجَفَ المُنافِقونَ في المدينةِ مُشَكِّكينَ بإيمان سَيِّدِنا أَبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) وَبَلَغَ ذلكَ الصّحابيَّ المؤمنَ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ الأنصاري (رَحِمَهُ اللهُ) جاءَ فَأَعلَمَ رسولَ اللهِ ﷺ بذلِكَ فقالَ (يا جابر لَمّا كانَتْ الليلةُ التّي أُسْرِيَ بي

---

(٩) راجع ج٢ تاريخ اليعقوبي، ج٣ تاريخ ابن كثير، تذكرة ابن الجوزي، ج٤ الإصابة للعسقلاني، ج١٣ تاريخ الخطيب، دلائل النبوة للبيهقي.

(١٠) ج١ طبقات ابن سعد، ج٣ شرح النهج للمعتزلي، نهاية الطلب للدينوري

(١١) ج٦ بحار الأنوار، الحجة لابن معد، ج٤ تفسير ابى الفتوح، ضياء العالمين للفتوني.

فيها إلى السَّماءِ انْتَهيتُ إلى العَرْشِ فرأيتُ أَرْبَعةَ أَنْوار فقلتُ: إلهي ما هٰذهِ الأَنوارُ؟ فقيلَ: يا مُحَمَّد، هذا عبدُ المطلب وهذا أبو طالب وهذا أَبوكَ عبدُ الله وهذا أخوك طالب. فقلتُ: يا الهي وسيّدي فَبِمَهْ نالوا هذهِ الدَّرجةَ؟ قيلَ: بكِتمانهم الإيمان وإظهارِهم الكفر وصَبْرِهم على ذلك حتّى ماتوا عليه)[١٢].

٥. وخَطَبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ في المدينة ليبيّنَ منزلةَ عَمِّهِ أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) وكانَ يُدْعىٰ بـ (كافِلِ اليتيم) كما كانَ يُدعىٰ هُوَ ﷺ يَتيمَ أبى طالب فقالَ وهو يُشيرُ بأُصبعيْه (أنا وكافلُ اليتيم كهاتيْنِ في الجنة)[١٣].

٦. ولمزيد بيانٍ لِمنزلةِ عَمِّهِ (سلامُ اللهِ عليه) قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لِابْنِ عَمِّه عقيل (سلامُ اللهِ عليه) عَلىٰ مَشْهَدٍ مِنَ النّاس (يا عقيلُ إنّي أُحبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبّاً لِقَرابَتِكَ مِنّي وحُبّاً لحبِ عَمّي أبى طالبٍ إياكَ لِعِلْمي أنَّهُ كانَ يُحِبك)[١٤].

---

(١٢)راجع روضة الواعظين لابن الفتال.

(١٣) راجع ج١٤ شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

وليس من العقل في شيء تعميم ذلك ليشمل كل كافل يتيم فما كلهم بمؤمنين ولا يقاس بمحمد واله ﷺ أحد. وعلى فرض المحال: فأبو طالب (سلام الله عليه) كافل ويتيمه سيد الكونين ﷺ فانظر منزلة كافل يتيم ويتيمه هذا صلوات الله وسلامه عليهما والهما الطيبين الطاهرين.

(١٤) انظر ج١ تاريخ الخميس للقاضي الديار بكري المالكي، ج٢ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عمر القرطبي، ج٩ مجمع الزوايد لنور الدين الهيثمي، ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى لمحب الدين الطبري الشافعي، ج١٤ شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي.

و.. واللهِ، لَوْ لَمْ يَرِدْ في حقِّ شيخِ المُؤمنينَ سيّدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) مِنْ شهادات آلِهِ، مُحَمَّدٍ وآلِهِ، ﷺ غيرُ هٰذِهِ لَكَفى دَلالةً علىٰ منزلتِهِ العظيمةِ عندَ اللهِ ورسولِهِ ﷺ فضلاً عن منزلةِ الإيمان اللّازمة كيْ يُحِبَّهُ رسولِ اللهِ ﷺ فانه (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولوْ كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخْوانَهم أوْ عشيرَتهم)= =

ثانياً: شيءٌ مِنْ شَهاداتِ أَميرِ المؤمنينَ في حَقِّ والدِهِ شيخِ المؤمنينَ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه)

١. قال أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) (حينَ حَضَرَ أبي الموتُ شَهِدَهُ رسولُ الله ﷺ فأخبرني عَنْهُ بشيءٍ خَيرٍ لي مِنَ الدُّنيا وما فيها)[١٥].

٢. وقال يُرثيه (سلامُ اللهِ عليهما):

أبا طالبٍ عِصْمَةَ المُسْتَجيرِ ... وَغَيْثَ المَحولِ وَنورَ الظُّلَمْ
لَقَدْ هَدَّ فَقْدُكَ أَهْلَ الحِفاظِ ... فَصَلَّى عَلَيْكَ وليُّ النِّعَمْ
وَلَقَّاكَ رَبُّكَ رِضْوانَهُ ... فَقَدْ كُنْتَ لِلْمُصْطَفى خَيْرُ عَمْ[١٦]

٣. وقال (سلامُ اللهِ عليه) رَداً على أُفيكةِ المُنافقين: واللهِ ما عَبَدَ أبي ولا جَدّي عبدُ المطلب ولا هاشمٌ ولا عبدُ مناف صَنَماً قطاً. قيلَ لَهُ: فَما كانوا يَعْبُدون؟ قالَ (سلامُ اللهِ عليه) (كانوا يُصَلّونَ إلى البيتِ على دينِ إبراهيمَ مُتمسِّكينَ به)[١٧].

٤. وقالَ (سلامُ الله عليه): (كانَ واللهِ أَبو طالب، عبدُ مناف بنُ عبدِ المطلب، مُؤمِناً مُسْلِماً يَكْتُمُ إيمانَهُ مَخافَةً على بَني هاشمْ أَنْ تُنابِذَهُمْ قُريش)[١٨].

المجادلة/٢٢، فرسول الله ﷺ يحب عقيلا (سلامُ اللهِ عليه) وهذه شهادة بايمانه. ثم انه ﷺ يُحبُّ عقيلا حُباً خاصاً لما عرف مِنْ حبِّ عمِّه أبى طالب لعقيل (سلامُ اللهِ عليهما) فما اعظمَ حُبّ رسول الله ﷺ لعمه أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) وما اعظمَ حُبّ الله له فقد تواتر قوله ﷺ: (حبيبي حبيبُ اللهِ وعَدُوي عَدو الله) وهذا ما لا يختلفُ عليه اثنان.

(١٥) راجع ضياء العالمين للفتوني وكتاب الحجة لابن معد. وتفكر فيما اخبر رسول الله ﷺ بشأن عمه أبى طالب (سلام الله عليه) ويراه أمير المؤمنين (سلام الله عليه) خير له من الدنيا وما فيها.

(١٦) تذكرة الخواص لابن الجوزي، الحجة لابن معد، ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

(١٧) ج٤ تفسير أبى الفتوح، ج٢ تفسير البرهان، إكمال الدين للصدوق.

(١٨) كتاب الحجة لابن معد، والمنابذة: الهجرة مع البغض والخلاف.

٥. وسُئِلَ (سلامُ اللهِ عليه) عن آخرِ الأوصياءِ قبلَ بعْثةِ رسولِ الله ﷺ فقالَ: (أبي)[١٩].

٦. وقال له أحدُ المنافقين في خِلافَته وكان (سلامُ اللهِ عليه) جالساً في الرَّحبةِ والناسُ حولَه: يا أميرَ المؤمنين، إنَّكَ بالمكانِ الذّي أنْزَلَكَ اللهُ فيه وأبوكَ في النارِ؟ فردَّ عليه أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) (مَهْ؟ فضَّ اللهُ فاكَ. والّذي بَعَثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ نبيّاً لَوْ شفعَ أبي في كلِّ مُذْنبٍ علىٰ وجْهِ الأرضِ لَشفّعَهُ اللهُ فيه أأبي مُعذّبٌ في النارِ وابنُهُ قسيمُ الجنّةِ والنّارِ![٢٠] والّذي بَعَثَ محمّداً بالحقِّ إنَّ نورَ أبي طالبٍ يومَ القيامةِ ليُطْفي أنْوارَ الخلائقِ إلّا خمْسةَ أنوار: نورُ محمّد ﷺ ونوري ونور فاطمة ونور الحسنين ونور وُلْدِهِ من الأئمة. إلّا انَّ نورَهُ مِنْ نورنا. خلقَهُ اللهُ مِنْ قبْلِ خلْقِ آدمَ بألْفيْ عام[٢١].

٧. كان أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) يَعْجبُهُ انْ يَروي شِعْرَ والدِهِ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليهما) وكان يُوصي المؤمنينَ: (تَعلّموهُ وعلّموه أوْلادَكُم فإنَّه كان علىٰ دينِ اللهِ وفيهِ علْمٌ كثيرٌ)[٢٢].

---

(١٩) راجع ضياء العالمين للفتوني.

(٢٠) قوله ﷺ (عليٌّ قسيمُ الجنّةِ والنّار) راجع ج١ جامع الأصول لابن الأثير، ج١ الامامة والسياسة للدينوري ، ج١ فرايد السمطين للجويني، ج٢ صحيح الترمذي، ج٢ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج٢ الفتح الكبير للنبهاني، ج٣ تاريخ ابن عساكر، ج٣ المستدرك للحاكم النيسابوري، ج٦ كنز العمال للمتقي الهندي، ج٧-٩ مجمع الزوايد للهيثمي، ج١٤ تاريخ بغداد للخطيب، فضايل الصحابة للسمعاني، المحاسن والمساوى للبيهقي، الأنصاف للباقلاني، تاريخ الإسلام للذهبي، مناقب الخوارزمي.

(٢١) مناقب ابن شاذان، كنز الفوايد للكراجكي، ج٤ تفسير ابي الفتوح، ج٣ تفسير البرهان، ج٩ بحار الأنوار للمجلسي، الحجة لابن معد.

(٢٢) راجع كتاب الحجة لابن معد، ضياء العالمين للفتوني، ج٩ بحار الأنوار.
وَصَدَقَ أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) ونِعْمَ ما وَصَفَ به شِعْرَ والده (سلامُ اللهِ عليه) فهو لم يهتم بما هو عليه من بلاغةٍ وفصاحةٍ وبيانٍ اذهلَ أهلَ الفن حتى قيل في بعضه (أنها قصيدة= =

ثالثاً: شيءٌ مِنْ شهاداتِ المعصومين مِنْ أحفادِ شَيْخِ المؤمنينَ في حقِّ جَدِّهم سيّدِنا ومولانا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليهم أجمعين).

١. سُئِلَ الامامُ زينُ العابدين (سلامُ اللهِ عليه): أكانَ أبو طالب مُؤمناً؟ قال: (نعم). قيل: إنَّ هاهُنا قومٌ يزْعُمون أنّه كافرٌ!! فقال (سلامُ اللهِ عليه): (واعَجَباً كُلَّ العَجَبِ أيُطْعَنونَ علىٰ أبي طالب أمْ علىٰ رَسولِ الله ﷺ وقد نَهاه اللهُ تعالى أنْ يُقِرَّ مُؤْمِنَةً مَعَ كافِرٍ في غيرِ آيةٍ من القرآن. ولا يَشُكُّ أحَدٌ ان فاطمةَ بنتَ أسَدٍ (سلامُ اللهِ عليها) مِنَ المؤمناتِ السّابقاتِ فإنها لَمْ تَزَلْ تَحْتَ أبي طالب حَتّى ماتَ (سلامُ اللهِ عليه)[٢٣].

٢. قال الإمامُ الباقرُ (سلامُ اللهِ عليه) (لقد ماتَ أبو طالب بن عبد المطلب (سلامُ اللهِ عليهما) مُسلماً مُؤمناً) قيل: إنَّ الناسَ يقولون بِكُفْرِه! فقال (سلامُ اللهِ عليه) (كَذَبوا واللهِ إنَّ إيمانَ أبي طالبٍ لَوْ وُضِعَ في كَفَّةِ ميزانٍ وإيمانُ هذا الخَلْقِ في الكَفَّةِ الأخْرى لَرَجَحَ إيمانُ أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) على إيمانِهم)[٢٤].

عظيمةٌ بليغةٌ جداً أفْحَلُ مِنَ المُعلقات السبعة وأبلَغُ في تأديةِ المعنى فيها جميعَها وأنّه لا يستطيع أنْ يقولها إلاّ مَنْ نُسِبَتْ إليه)، (انظر ج٣ تاريخ ابن كثير واسنى المطالب في نجاة أبي طالب لابن دحلان) فقد نظر أميرُ المؤمنين لِشِعْرِ والدِهِ (سلامُ اللهِ عليهما) من ذات الزاوية التي ينظر منها لكل جوانب الحياة وقاسَهُ على ذات المقياس الذي يعتمده، علاقته بدين الله وما فيه من علومه. ففي كل ما قاله سيّدُنا أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) فهو داعيةٌ لمتابعةِ الحق وهَجْرِ الباطل ومُرْشِدٌ للالتزام بقيم ومُثُلِ السّماء وطَرْحِ ما ناهَضَها مِنْ عاداتٍ وتقاليد بيّنة الفسادِ وَحاثٌّ علىٰ مُناصرةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ وخِذْلان الجَبابِرةِ والغُواةِ مُوَقِّفاً مَدْحَهُ على فَضائلِ وفَواضِلِ رَسولِ اللهِ ﷺ وخاصاً المشركينَ بِهَجائِهِ وقَدْحِهِ.

(٢٣) راجع ج٣ شرح نهج البلاغة، ضياء العالمين للفتوني، الحجة لابن معد، الدرجات الرفيعة.

(٢٤) المصادر السابقة=

٣. قيل للإمام الصّادق (سلامُ اللهِ عليه): إنَّ الناسَ يُكفِّرونَ أبا طالب!! فقالَ (كَذِبَ أعداءُ اللهِ، إنَّ أبا طالب مِنْ رُفقاءِ النبيّينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ وَحَسُنَ أولئِكَ رَفيقاً)[٢٥].

٤. واحتجَّ الإمامُ الصّادقُ (سلامُ اللهِ عليه) على أبْناءِ المُنافقين فقالَ (كيف يكون أبو طالب كافراً وهُوَ القائل:

لَقَدْ عَلِموا أنَّ ابْنَنا لا مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنا وَلا يُعْبَأُ بقَوْلِ الأَباطِلِ[٢٦]

٥. واحتجَّ (سلامُ اللهِ عليه) حينَ قيلَ له: إنَّ القومَ يزعُمونَ أنَّ أبا طالب كان كافراً!! فقال الصادق (سلامُ اللهِ عليه) (كَذَبوا.. كيفَ وَهُوَ(سلامُ اللهِ عليه) القائل:

أَلَمْ تَعلموا إنّا وَجَدْنا مُحَمَّداً ... نَبياً كَموسى خُطَّ في أَوَّلِ الْكُتْبِ[٢٧]

٦. وقال الإمام الكاظم (سلامُ اللهِ عليه) لبيانِ حَقيقةِ مَنْزلَةِ جَدِّهِ شَيْخِ المؤمنينَ أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه): (كان أبو طالب خاتَمُ أوصياءِ إبراهيمَ وقُبَيْلَ مَوْتِهِ دَفَعَ الوَصايالرَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله[٢٨].

٧. وقال الإمامُ الرِّضا (سلامُ اللهِ عليه) (إنَّ نقشَ خاتَمِ أبى طالبٍ كانَ: (رَضيتُ بِاللهِ رَباً وَبِابْنِ أخي نَبيّاً وَبِأبْني عَلي لَهُ وَصيّاً)[٢٩].

=وتفكر في رجاحة كفّةِ إيمانِ سيدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ إيمان الخلق تُدرك ان رَجاحَةَ ضَربةَ أمير المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) في يوم الخندق علىٰ عِبادَةِ الثّقلين لَمْ تأتِ مِنْ فَراغ وَلَمْ تُورَثْ عَنْ كَلالَةٍ .

(٢٥) راجع كنز الفوايد للكراجكي، الحجة لابن معد، ضياء العالمين للفتوني.

(٢٦) الكافي للكليني، ج٣ تفسير البرهان.

(٢٧) الكافي للكليني.

(٢٨)الكافي للكليني.

(٢٩) الدرجات الرفيعة للشيرازي، محبوب القلوب للاشكوري.

٨. كَتَبَ عبدُ العظيمِ بنُ عبدِ اللهِ العَلويُّ إلىٰ الإمامِ الرِّضا (سلامُ اللهِ عليه): (عَرِّفْني يا ابْنَ رَسولِ اللهِ ﷺ عَنْ الخبَرِ المروي في تكفيرِ أبى طالب): فكَتَبَ (سلامُ اللهِ عليه): (أما بعد، فإنَّكَ إنْ شَكَكْتَ في إيمانِ أبى طالبٍ كانَ مصيرُك إلىٰ النّار)[٣٠].

٩. كَتَبَ أبانُ بنُ محمود إلى الإمامِ الرِّضا (سلامُ اللهِ عليه): (جُعِلْتُ فِداكَ إنّي قد شَكَكْتُ في إيمانِ أبى طالب) فكَتَبَ (سَلامُ الله عليه) (بسم الله الرحمن الرحيم وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ له الهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيرَ سَبيلِ المؤمنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصيرا)[٣١]. وَبَعْدُ: إنَّكَ إنْ لَمْ تُقِرْ بِإيمانِ أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) كانَ مَصيرُكَ إلىٰ النّار)[٣٢].

١٠. قال الإمامُ الحسنُ العسكريُّ (سلامُ اللهِ عليه) (إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ رَسولِهِ ﷺ: إنّي قد أيَّدْتُكَ بِشيعَتَيْن: شَيعةً تَنْصُرُكَ سِرّاً وشيعةً تَنصُرُكَ عَلانيةً. فاما التي تنصُرُكَ سِرّاً فسيدُهم وأفضلُهم عَمُّكَ أبو طالب، وأمّا التي تنصُرك عَلانيةً فسيّدُهم وأفضلُهم ابْنُه عليُّ بنُ أبي طالب. وإنَّ أبا طالب كَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَونَ يكْتُمُ إيمانَه[٣٣].

و.. تلكَ كانتْ بعضُ شَهاداتِ مَنْ لا يَنْطِقونَ عَنْ الهَوىٰ بِحَقِّ مَنْزِلَةِ عَميدِهم وشَيْخِ المؤمنين وَشَفيعِهم مَولانا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) التّي أنزلَه اللهُ بها... شهادةَ مَنْ أضافَ مُصْطفيهم شَهادَتَهُم إلى شَهادَتِهِ وشهادةِ مَلائِكَتِهِ لَهُ، جَلَّ شأنُه، بالوَحْدانِيةِ والقَيّوميّةِ والعدلِ والعِزَّةِ والحِكْمَةِ. وما كان اسْتشهادُهُ بِهِم

---

(٣٠) راجع ضياء العالمين للفتوني، الحجة لابن معد.

(٣١) سورة النساء /١١٥.

(٣٢) كنز الفوايد للكراجكي، الحجة لابن معد، ج٩ بحار الأنوار، ضياء العالمين للفتوني، الدرجات الرفيعة للسيد الشيرازي.

(٣٣) الحجة لابن معد، ضياء العالمين للفتوني.

عن حاجةٍ منه لِشَهيد علىٰ دَعواه بَلْ هيَ شهادةٌ منه، عَزَّ وعَلا، علىٰ حِجِّيَّةِ شَهادَتِهِم وأنّهم (سلامُ اللهِ عليهم) لا يَنْطِقونَ إلاّ عَنْ وَحي فَماذا بعدَ الوَحيِ إلاّ الهَوى؟ و(ماذا بعد الحقِّ إلا الضّلال)[٣٤].

---

(٣٤) سورة يونس /٣٢.
ويَجْدُرُ بالمؤمن، وهو يقرأ أحاديثَ أئمةِ الهُدى (سلامُ اللهِ عليهم) بحقِّ عميدِهم وشيخِهم سيدِنا ومولانا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه)، انْ لا يغفلَ عنْ أنَّ علّةَ حُكم ثامنهم، الإمامِ الرّضا (سلامُ اللهِ عليه)، بِكُفْرِ مَنْ شَكَّ ولم يُقِرّ بإيمانِهِ هي كونُ ذلك تكذيبٌ لِشَهادَةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِحَقِّ كافِلِه (راجع ص٧٦ - ٧٧). وَمَنْ رَدَّ شهادةَ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فقد كَذَبَهُ وَمَنْ كَذَبَهُ فهو كافِر.

رمتني بدائها وانسلت

حُنانَيْكَ مِنْ حاضِرٍ غائِبِ ... وَمِنْ باغِ جِدٍّ وَمِنْ لاعِبِ
فَدَيْتُكَ، إنِّيَ مِنْ تَوْبَتي ... يَئِسْتُ وَمِنْ وَعْدِكَ الكاذِبِ
كَما يَئِسَتْ مِنْ شَفاعَتِهِ ... أُناسٌ تُعادي أَبا طالِبِ
خِتامُ الوصيّينَ بَعْدَ الخَليـ ... ـلِ فَخْرُ التَّقِيّينَ مِنْ غالِبِ
وَما نَقَمُوا مِنْهُ إلّا لِكَوْ ... نِهِ والِدُ الأَسَدِ القاطِبِ
وَكافِلُ خَيْرِ يَتيمٍ أَتى ... عَنِ اللهِ بِالمَنْهَجِ اللّاحِبِ
فَقُلْ لِلْمُغَيرَةِ والعاصِمي ... وَتابِعِ إفْكِهِما النّاصِبي
لَعاذِرُهُمْ أَنا فيمَنْ عَلا ... بِأَخْمَصِهِ قَلَلَ العاكِبِ
فَإذْ رَهِبُوا مُغْمَداً سَيْفَهُ ... إذا ما بَدا كَالسَّنا الثّاقِبِ
وَما اسْتَطاعوا كَفَّ لِسانٍ عَلِيّ ... صَدوقٍ أَشَدُّ مِنَ القاضِبِ
تَنادوا قَضى والِدُ المُرْتَضى ... عَلى غيرِ دينِ الهُدى الصّائِبِ
فَلِلّهِ دَرُّ (رَمَتْني بِدا ... ئِها) مِنْ رَوِيٍّ وَمِنْ واصِبِ[٣٥]

---

(٣٥) رمتني بدائها وانسلت: مثل يُضرب لمن يرمي غيره بما فيه مِنْ عَيب.، باغ: طالب، القاطي: الشديد، اللاحب: الواضح، اخمص: باطن القدم، قلل: هامات، العاكب: الجمع، السنا: البرق، القاضب: السيف، الصائب: الصحيح، روي: كاف، واصب: شامل.

الفصل الخامس

مَكْرُ المُنافِقينَ لِأُطْفاءِ نورِ شَيْخِ المُؤْمِنينَ سَيِّدِنا وَمَوْلانا أبي طالب صَلواتُ مُصْطَفيهِ عَلَيْه

أُقسِمُ إذْ أُقْسِمُ بِالرَّبِّ ... وَحَسْبي عَدْلٌ شاهِدٌ حَسْبي

بِأَنَّ إيمانَ أَبي طالِبٍ ... أَجْلى، لِذي عَيْنٍ، مِنَ الشُّهْبِ

وَإِنَّ في كِتْمانِهِ حِكْمَةٌ ... أَدْرَكَها حَتّى أُولُوا النَّصْبِ[1]

وَإِنَّ مَنْ سَبَّهُ كَنّى بِهِ ... عَنْ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ بِالسَّبِّ

وَمَنْ يَرى ذاكَ وَيَرْضى بِهِ ... فَإِنَّهُ أَنْجَسُ مِنْ كَلْبِ

---

[1] سيأتيك هرف الحلبي الناصبي ص٩٠.

ذكرنا في آخر الفصل الأول أنّ كَشْفَ رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمان عَمِّه وكافله سيّدنا أبي طالب (سلامُ الله عليه) وأنّ كتمه كان للتمكن من الذبّ عنه حتى يُبلِّغ رسالة ربّه، جعل أعداءَ الله، المشركين بالأمس والمنافقين اليوم يُدركون أنّ أبا طالب (سلامُ الله عليه) هو ثارهم التليدُ واليه يجبُ أنْ يُوجهوا الطّعنَ. وإذْ مضى (سلامُ الله عليه) وجبَ توجيه الطّعن لآله ولأنّ المنافقين كانوا أذلّ من أنْ يرفعوا الطّرف إلى بني هاشم فضلاً عن السّيف لا سيما بعد أنْ خبروهم في بدر وأخواتها فقد ترقبوا سنوحَ الفرصة للانقضاض عليهم وإطفاء نورَ الله. وفي انتظار تلك الفرصة زيّنَ لهمُ الشّيطانُ الطّعنَ في إيمان عميد بني هاشم سيّدنا أبي طالب (سلامُ الله عليه) لتكذيب شهادة يتيمه ﷺ بحقّه. واختارَ المنافقونَ للمهمّة أحدَ أراذل لهم والّذي باتَ في نفاقه شرّاً ممّا كانَ عليه في كفره، ألا ذلك هوَ المغيرةَ بنَ شعبة وهو أحدُ مُشركي مكة كانَ قد صحبَ ثلاثةَ عشرَ رجلاً وفي الطريق استغفلهم فقتلهم وهم نيام وأخذَ أموالهم وقدمَ على المدينة وتظاهرَ بالإسلام ليحتمي به من انتقام ذوي القتلى[1]. وقد أهلّ المغيرةَ نفاقُه وخبثُه فيما بعد ليكونَ مستشاراً لقادة الرّدة الأولى ثم أحدَ ولاتهمْ المقرّبين ثمّ والياً لمعاوية. وقد وضعَ المغيرةُ أفيكةً زعمَ فيها أنّ شيخَ المؤمنينَ سيّدنا أبا طالب (سلامُ الله عليه) ماتَ، والعياذُ بالله كافراً وأنّه في ضحضاحٍ من نار ونسبَ تلك الأفيكةَ لرسول الله ﷺ [2]، فتصدّى لفضحها[3]، وتبيانِ شيءٍ من منزلة عمّه (سلامُ الله عليه). ومع أنّ القومَ يقرّون بأنّ المغيرةَ (ما كانَ إسلامُه عنْ إعتقادٍ صحيح ولا إنابةٍ ونيةٍ جميلة، ومَنْ كانَ إسلامُه على هذا الوجه وكانتْ خاتمتُه ما قد تواترَ

---

(1) راجع في أخبار المُغيرة بنُ شعبة ج٢٠ من شرح نهج البلاغة للمعتزلي وعن لسان المغيرة نفسه في ج١٦عن الأغاني لابي فرج الأصفهاني.

(2) وكانت تلك فاتحة الكذب عليه ﷺ وتلاها الكثير.

(3) انظر ما مر في ص٧٦ وما بعدها.

الخبرُ بهِ مِنْ سَبِّ أميرِ المؤمنينَ على المنابرِ إلىٰ أنْ ماتَ علىٰ هذا الفعل وكان المتوسطُ من عُمُرِهِ الفسقُ والفجورُ وإعْطاءُ البطنَ والفرجَ سُؤْلَهما ومحالاةُ الفاسقينَ وصَرْفُ الوقتِ والجهدِ إلى غيرِ طاعةِ اللهِ كيفَ نتولاه؟ وأيُّ عُذرٍ لنا في الإمساك عنه وألا نكشفَ للنّاسِ فِسْقَه[٤]) فقد كافأَ قادةُ الرِّدَةِ الأولى المغيرةَ علىٰ وَضْعِهِ أُفيكَةَ (الضَّحْضاح) ودَوْرِهِ في إنْجاحِ انقلابِ أصْحابِ السَّقيفةِ فَوَلاّه عُمرُ بنُ الخطاب البحرينَ فَضَجَّ أهلُها مِنْ سيرتِهِ فعَزَلَه عنها وَوَلاّه البصرةَ فَضُبِطَ بها زانياً بأمِّ جميل بنتِ عمرو زوجةِ الحجّاجِ بن عَتيك بن الحارث الجمشي. وشَهِدَ الحادثةَ أربعةُ رِجال وحينَ رُفِعَ الأمرُ لعمر بن الخطاب أقنعَ أحدَ الشهودِ، وهو زيادَ بنَ سُمَيّة، فعَدِلَ عنْ شَهادته فَجَلَدَ عمرُ الشُّهودَ الباقينَ بتُهْمَةِ القَذْفِ ونجا المغيرةُ من الرَّجم بفضلِ خَدَماتِهِ السّابقة[٥].

وشاعَ خبرٌ تَواطؤِ عمرَ فاضطرَ هذا لِعَزلِ المغيرةِ عن البصرةِ وولاّه الكوفةَ وبقيَ عليها حتى إذا هلكَ عثمانُ هَرَبَ إلى مُعاوية في الشّام وحينَ دَخَلَ معاويةُ العراقَ بعد اسْتشهاد أميرِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وَلّىٰ المغيرةَ الكوفةَ فكان اللّعينُ يَسُبُّ أميرَ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) علىٰ المنبر عَلانية[٦].

ورغمَ مَعرفةِ القومِ بحقيقةِ المغيرةِ وسيرتِهِ المُخزيةِ تلك، ورَغْم تَواتُرِ أحاديث رَسولِ اللهِ وآلِهِ ﷺ في تبيان مَنْزِلَةِ سيِّدِنا أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) عندَ اللهِ ورَسولِهِ ﷺ ورغمَ شُيوعِ كُلِّ ما ناءَ بهِ شيخُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) مِنْ قولٍ وفعلٍ في الذَّبِّ عن دينِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، رَغْمَ كُلِّ ذلك دَأَبَ أبْناءُ القومِ على

---

(٤) راجع ج٢٠ من شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

(٥) راجع ج٣ مستدرك النيسابوري، وفيات الأعيان للقاضي ابن خَلِّكان وكل مَنْ أرّخ لحوادث سنة ١٧ للهجرة.

(٦) راجع ج٨ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، وما كان سَبُّ أميرِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) إلا إمتداداً لتكفيرِ والدِهِ شَيخِ المؤمنين سيِّدِنا ومولانا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه).

تَناقُلِ فِرية المُغيرة تلك وتَوثيقِها لا لِشَيءٍ إلّا لما في ذلك مِنْ أذيّةٍ لِرَسولِ اللهِ ﷺ ومَسٍّ بمكانةِ وَصِيِّهِ (سلامُ اللهِ عليه) وهذه حقيقةٌ أكّدَها حتّى بعضُ أهلِ الخِلافِ ممن قَيّضَهُ اللهُ لإنْصافِ شَيْخِ المؤمنينَ أبا طالب (سَلامُ اللهِ عليه) والإقرارِ بأياديهِ على دينِ اللهِ والمؤمنينَ.

فإذْ ألّفَ مُحمد بنُ عبد الرسول البرزنجي كتابه (نَجاةُ أبي طالب) وأقامَ فيه الأدلةَ الدامغةَ والبراهينَ السّاطعةَ على صِدقِ إيمانِ سيّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) فإنّ أحمدَ زين دحلان، صاحبَ السّيرةِ النبويّةِ، قَرّضَهُ بأنّه بهِ (قُرّةُ عينِ الرّسولِ ﷺ والسلامةُ مِنْ الوقوعِ في تنقيصِ أبي طالب أو بُغْضِهِ فإنّ ذلكَ يؤذي النبيّ ﷺ وقد قال تعالى: (إنّ الّذينَ يُؤْذونَ اللهَ ورَسولَهُ لَعَنَهُمْ في الدّنيا والآخرةِ وأعدّ لهم عذاباً مُهيناً) الأحزاب/٥٣.

وقد قالَ أحمد بن الحسين الحنفي إنّ بُغْضَ أبي طالب كُفْرٌ. وقال عليٌّ الأُجْهوري المالكي ذلك في فتاويه. وقال التلمساني: لا ينبغي ان يُذكرَ أبو طالب إلّا بحمايةِ النبي ﷺ لانّه حَماهُ ونَصَرَهُ بقولِهِ وفعلِهِ وفي ذِكرِهِ بمكروه أذيةٌ للنبي ﷺ ومُؤذي النبي ﷺ كافرٌ، والكافرُ يُقتل.

وقال أبو طاهر: مَنْ أبغضَ أبا طالب فهو كافر. وقد صَرّح بإيمانِ أبي طالب العديد من الأئمة كالقُرطبي والسّبكي والسّيوطي والشّعراني والسّحيمي وغيرهم)[٧].

نعم.. لا غاية لكل من أنكر أو شَكّكَ بإيمان سيّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) غيرُ غايةِ المنافقِ المغيرةِ بنِ شُعبة وهي السعيُ للنيلِ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ. فهذا الحلبيُّ، برهانُ الدين عليٌّ ابن إبراهيم الحلبي القاهري، إذْ لمْ يَسْتَطِعْ إنكارَ دورِ سيّدِنا أبي طالب في حِمايةِ رسولِ اللهِ ﷺ ونُصْرَتِهِ وبالتالي في ظهورِ دينِ

---

(٧) انظر كتاب اسنى المطالب في نجاة أبي طالب لاحمد زين دحلان الشافعي.

الله، واذْ منعَهُ نَصْبُهُ مِنَ الأقرارِ بحقيقةِ منزلةِ كافلِ رسولِ اللهِ ﷺ التي أنزلَهُ اللهُ إياها بكتْمِهِ إيمانهِ فقد قال[٨]، (كانَ مِنْ حِكْمَةِ أحْكَمِ الحاكمينَ بَقاءُ أبي طالب علىٰ دينِ قومهِ لما في ذلك مِنَ المصالحِ التي تبدو لِمَنْ تأملَها) متغافلاً عما في كلامهِ مِنْ كذبٍ يُناقِضُ قوله تعالى: (إنْ تكفروا فإنَّ اللهَ غنيٌّ عنكُم ولا يرْضىٰ لِعبادهِ الكُفْرَ) الزمر/٧ وذاهلاً عنْ حُكم قومهِ علىٰ أمثالهِ ممَنْ كذبَ علىٰ اللهِ ورسولهِ ﷺ كقولِ جلالِ الدّين السّيوطي (لا اعلمُ شيئاً مِنَ الكبائرَ قال أحدٌ مِنْ أهلِ السُّنة بتكْفيرِ مُرتكبه إلاّ الكذِبَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّ الشيخَ أبا محمدٍ الجُويني مِنْ أصحابنا وهو والدُ إمامِ الحرَمين قالَ: إنَّ مَنْ تعمَّدَ الكذِبَ عليْهِ ﷺ يكفرُ كُفراً يخْرُجُهُ مِنَ الملةِ. وتبعَهُ طائفةٌ منهُمُ الإمامُ ناصرُ الدين ابنُ المنير مِنْ أئمةِ المالكيةِ وهذا يَدلُّ علىٰ أنه اكبرُ الكبائرِ لأنه لا شيءَ مِنَ الكبائرِ يَقْتضي الكُفْرَ عن أحَدٍ مِنْ أهلِ السُّنة)[٩].

لقد تناقل أبناءُ القومِ اكذوبةَ اللّعينِ بنِ شعبة في مُؤلّفاتهم وجاءوا بها كالمُسَلّماتِ دون تحرُّجٍ أوْ خَجَلٍ. ثم لمْ يكتف بعضُ أواخرِ المنافقين بالطّعن بإيمانهِ (سلامُ اللهِ عليه) فَضَمَّ إليه حَليلتَهُ الصِّدّيقةَ فاطمةَ بنتَ أسَد ووالدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ سيِّدَنا ومولانا عبدَ اللهِ والصِّدّيقةَ آمنةَ بنتَ وَهب (سلامُ اللهِ عليهم) فقالَ، ولُعِنَ بما قال (إنَّ النبيَّ في كَثْرةِ ما انعم اللهُ عليه ووفورِ إحْسانهِ إليه لمْ يَرْزُقْهُ إسلامَ أبويْه.. وكذلك المرْتضى فيما أكرمَهُ اللهُ به من الأخلاقِ والخصالِ وفنونِ النِّعمِ والأفضال لَمْ يرزقه إسلامَ أبويْه) ولكي يضلل اتباعه ويلبس عليهم الحق، شأن ائمة الضلال، قال (على هذا جَمْهورُ المسلمينَ إلاّ شِرْذِمَةٌ قليلون لا يُلْتفتُ إليهم)[١٠].

---

(٨) راجع ج١ السيرة الحلبية / باب وفاته (سلام الله عليه).

(٩) راجع كتاب تحذير الخواص.

(١٠) راجع كتاب (زين الفتى) لاحمد بن محمد بن علي العاصمي.

فانظرْ جُرأتَه على اللهِ ورسولِه ﷺ. فقد تغافلَ عنْ سيرةِ سيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه)، وكلُّ كلمةٍ فاه بها وكلُّ عملٍ ناءَ به يدلُّ على درجةٍ لا ينالُها إلّا ذو حظٍّ عظيمٍ وتغافلَ عمّا جاءَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ بحقِّ عمِّه وكافلِه (سلامُ اللهِ عليه) وقد رواه مَنْ يُوثّقه هذا الأفاكُ فهُمْ أئمةُ الحديثِ في قومه[11].

وتغافلَ عمّا جاء عنْ ائمةِ الحقِّ (سلامُ اللهِ عليهم) بحقِّ عميدِهم (سلامُ اللهِ عليه) وأولِهم أميرُ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وهو مَنْ تواترَ فيه قولُ رسولِ اللهِ ﷺ (عليٌّ معَ الحقِّ والحقُّ معَ عليٍّ يدورُ معَهُ حيثُ دار)[12].

بل لقد تغافلَ الأفّاكُ حتى عنْ أئمتِه الذين أقرّوا بإيمان شيخِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه) وحكموا بكفرِ مُبغضِه وبأن تنقيصَه (سلامُ اللهِ عليه) أذيّةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ ومُؤذيه ﷺ كافرٌ يجبُ قتلُه[13].

وليتَ مُسائلَ هذا الخبيثِ: علىٰ مَهْ كلُّ هذا البُغضِ والعداءِ لوالدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ وكافليْه (صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهما أجمعين)؟ وهلْ لهُمْ منْ ذنبٍ يُؤاخِذُهم به سوىٰ كونُهم كذلك؟!

ولئنْ تترّسَ العاصميُّ، في طعْنِه بإيمانِ سيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) بإفْكةِ سلَفِه في النِّفاقِ، المغيرةِ بنِ شعبة، فكيفَ قدَحَ بإيمانِ الصِّدّيقةِ فاطمةَ بنتِ أسد (سلامُ اللهِ عليها) وقدْ أجْمَعَ مُؤرخُو السِّيرةِ علىٰ أنّها كانتْ منَ المؤمناتِ

---

(11) انظر ما مر ص ٨٩.

(12) راجع ج١٤ تاريخ الخطيب، ج٣ تاريخ ابن عساكر، ج١ الامامة والسياسة، ج٥ منتخب الكنز، ج١ فرايد السمطين، ج٥ صحيح الترمذي، ج٣ مستدرك الحاكم، ج٢ شرح نهج البلاغة، ج٢ الفتح الكبير للنبهاني، ج٧ مجمع الزوايد للهيثمي، ج٩ جامع الأصول للجزري، فضائل الصحابة للسمعاني، مناقب ابن مردويه، الأنصاف للباقلاني، المحاسن والمساوى للبيهقي، تاريخ الإسلام للذهبي، مفتاح النجا للبدخش، ربيع الأبرار للزمخشري، المناقب للخوارزمي.

(13) انظر ما مر ص٨٩.

السابقاتِ وأوردوا مَدىٰ حُزْنِ رَسولِ اللهِ ﷺ يومَ وفاتِها وكيفَ أنَّهُ حَفَرَ لَحْدَها بِيَدَيْهِ المُقدسَتَيْن ثمَّ تَمدَّدَ به قبل أنْ يُنزلها فيه بَعْدَ أنْ لَفَّها بِقَميصِهِ وأهال عليها التراب وهو ﷺ يَرثيها ويَبكيها ويُناديها (يا أُمّاه)؟

ثم ما عذرُ العاصميِّ في طَعْنِهِ بإيمان أبَوَيْ رسولِ اللهِ ﷺ وقدْ أُجْمِعَ بنو هاشمٍ عامةً وآلُ أبي طالبٍ خاصّةً علىٰ أنهما كانا ساداتِ مُؤمِني قَوْمِهما. وأهلُ البيتِ أدرىٰ بالّذي فيه!

ولئن دَسَّ العاصميُّ أفيكَتَهُ بطريقة توحي بالتأدُّبِ في حضرةِ رسولِ الله ووَصِيِّهِ (صَلواتُ الله عليهم وآلِهِمْ) كيْ لا يُقرَن بِسَلَفِهِ المُغيرةِ فإنَّ ثالثَ الأفاكيْن كَشَفَ عن وَجْهِهِ القِناع فَظَهَرَ علىٰ حَقيقته، مُنافقاً ناصِباً مُبْغِضاً لِرَسولِ اللهِ ﷺ مُتعمداً مَسَّ مَقامِهِ المقدَّس فَزَعَمَ أنَّه قيلَ له ﷺ: لَوْ اسْتَغْفَرتَ لأُمِّكَ وأبيكَ؟ فقال (لو استغفرتُ لهما لاستغفرتُ لأبي طالب فإنّه صَنَعَ اليَّ ما لمْ يَصْنَعا. وإنَّ عبدَ اللهِ وآمنةَ وأبا طالب جَمَراتٌ مِنْ جَمَراتِ جَهَنَّم)[١٤].

ولكن.. ألا مِنْ مُسائِلٍ ابنَ الخَبيثَةِ صاحِبِ هذهِ الفِرية: أهكذا يَتَحَدَّثُ عَنْ والديْه وعَنْ كافِلِهِ مَنْ قال فيه مُصْطفيه بأنّه (لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظيمٍ) وَسَنَّ لأتْباعِهِ (لَكُمْ في رَسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)؟!

أوَ هكذا يُطَبَّقُ الدُّسْتورَ الّذي جاء به (وقُلْ لَهُما قَولاً كَريما)!! وهَلْ لأولئِكَ الطّواهِرِ الزَّواكي: عَبدِ اللهِ وآمنةِ وأبي طالبِ وفاطمةَ بنتِ أسد (لواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليهم) عِنْدَ هذا المنافِقِ وسَلَفَيْهِ المغيرةِ والعاصِميِّ وأضْرابِهِم مِنْ ذَنْبٍ إلاّ أنّهم (سَلامُ اللهِ عَليهم) آباءُ وأمهاتُ رَسولِ اللهِ ﷺ فقالوا فيهمْ ما قالوا؟

---

(١٤) انظر ج ١٤ من شرح المعتزلي للنهج البلاغة حيث أورد المزعمة ولم ينسبها. ولابن حزم الظاهري الاندلسي نظيرها فقد قال في ج٥ من (الإحكام في اصول الأحكام): (قد غاب عنهم، ويعني الشيعة، ان سيد ولد آدم، ويريد به رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو ولد كافر وكافرة)!

و..... لمن بما قال فـ(إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون) النحل/١٠٥

كما أنَّه لمْ يَكُن لعلـيٍّ وفاطمةَ وأبنائِهم (سلامُ اللهِ عليهم) مِنْ ذَنْبٍ عند القَوم غيرُ كونِهِمْ أهلُ بيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ وعِتْرتِهِ وخاصَّتِهِ وحامَّتِهِ فَفَعلوا بِهِم ما فَعلوا!؟

وَلُعِنوا بِما قالوا.. وَلُعِنوا بِما فَعلوا

وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَموا آلَ مُحَمَّدٍ أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلبونَ

وأخيراً

فَلأنَّ الوجهَ الآخَرَ للإيمانِ هو الشَّجاعةُ لِذا تَجَسَّدَ كِلا الوَجْهان في سيِّدِنا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه) ولِذا سَعىٰ المنافقونَ لِتشْويه كِلاهُما ولمْ يَكُن حَظُّهُم في طَعْنِهم بشَجاعَتِهِ بأوْفَرَ منهُ في طَعْنِهِم بإيمانِهِ.

فَتَجلّي شَجاعَتِهِ (سلامُ اللهِ عليه) للباحِثِ هي عَيْنُ تَجلّي إيمانِهِ.

فانظر لَواذَ رَسولِ اللهِ ﷺ به ورُكونَهُ إليه وعَدَمَ اكْتِراثِهِ بِرَعْدِ قُريشٍ وَبَرْقِها. وكيفَ لا يكون كَذلك وكافِلُهُ (سلامُ اللهِ عليه) يُخاطبه بمثل قول:

واللهِ لَنْ يَصِلوا إليكَ بِجَمْعِهِم ... حتّى أُوَسَّدَ في التّرابِ دَفينا

وبقوله:

فَإنّ كَفَكَ كَفّي إنْ مَليتَ بِها ... ودونَ نَفْسِكَ نَفْسي في المُلِمّاتِ

وقوله:

أنّى تُضامُ وَلَمْ أُمَتْ ... وَأنا الشُّجاعُ العِرْبِدُ

وانظر اذعانَ بني هاشم وخُضوعَهم لأمرِهِ (سلامُ اللهِ عليه) منذ حديثِ يومِ الدار[15]. وانتهاءً بأيام الحِصار في الشِّعْب حينَ خاطَبَهم (واللهِ لَئِنْ شاكَتْ مُحَمَّداً شَوكَةٌ لأتينَّ عليكم يا بَني هاشمَ جَميعا)[16].

وانظر صِغَرَ قُريش وَذِلّتَها وهو (سلامُ اللهِ عليه) يُخاطِبهم بقوله:

---

(15) انظر ص٤٤.

(16) انظر ص٥٥.

أَلا تَــرَوْنَ اُذَلَّ اللهُ جَمْعَكُــمُ ... أَنّا غَضِبْنا لِعُثْمانِ بنِ مَضْعونِ
وَنَمْنَعُ الضَّيمَ مَنْ يَبغي مُضَيَّمَنا ... بِكُلِّ مُطَّرِدٍ في الكَفِّ مَسْنونِ

وبقوله:

أَلا أَبلِغْ قُرَيشاً حَيثُ حَلَّتْ ... وَكُلَّ سَرائِرٍ مِنْها غَرورُ
فَلا وأَبيكَ لا ظَفَرَتْ قُرَيشٌ ... ولا أَمَّتْ رَشاداً إِذ تُشيرُ

وقوله:

فَمَهلاً قَومَنا لا تَركَبونا ... بِمَظْلَمَةٍ لَها أَمْرٌ وَخيمُ
وَيَنْدَمُ بَعضُكُم وَيَذِلُّ بَعضٌ ... وَلَيسَ بِمُفْلِحٍ أَبَداً ظَلومُ

وقوله:

فَلا تَسْفَهَنْ أَحْلامُكُمْ في مُحَمَّدٍ ... وَلا تَتْبَعوا أَمْرَ الغُواةِ الأَشائِمِ
فَإِنكُمُ وَاللهِ لا تَقْتُلونَهُ ... وَلَما تَرَوا قَطْفَ اللِّحا والغَلاصِمِ

وقوله:

كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزي مُحَمَّداً ... وَلَمّا نُطاعِنْ دونَهُ وَنُناضِلِ
وَنُسْلِمَهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَولَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبنائِنا والحَلائِلِ

وقوله:

فَلا تَحسَبونا خاذِلينَ مُحَمَّداً ... لِذي غُربَةٍ مِنّا وَلا مُتَقَرِّبِ
سَتَمْنَعُهُ مِنّا يَدٌ هاشِمِيَّةٌ ... مُرَكَّبُها في المَجْدِ خَيرُ مُرَكَّبِ

ثم انظر كيف ثارَ (سلامُ اللهِ عليه) يَوم تَجرأ اللّعينُ ابنُ الزبعرىٰ على رسولِ الله ﷺ فَوَجَأَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) أنفَهَ حتّى أدماه ثُمَّ لَطَّخَ رؤوسَ جَبابِرَةِ قريشٍ بالفَرْثِ والدَّمِ، وَصَرَخَ في وجوههم (مَنْ شاءَ منكم أنْ يَتَحَرَّك فليفْعل) وكُلّهم ناكِسوا الرؤوسِ ذِلّةً وخِزْيا)[١٧].

---

(١٧) راجع ص٥٠.

ثم آنظر كيفَ فَعَلَ يومَ افتقدَ يتيمَه ﷺ (١٨).

ثم آنظر كيفَ لَطَمَ وَجْهَ أبي جَهْل وَسَطَ القومِ وَصَرَخَ في وجهه بكلمته التي قَنَّعَتْهُ وقَوْمَهُ الهَوانَ (رُدَّها إنْ آسْتَطَعْتَ)(١٩).

ثم آنظر كيفَ يُوبِّخُ قريشاً ويَتوعَّدَهم حينَ رَفَعَ أبو جهل حَجَراً لِيضْرِبَ به راسَ رَبيبِهِ المُصطفى ﷺ فكانَ أنْ أُلْصَقَهُ اللهُ بِكفِّهِ فَرُجِعَ خاسِئاً فقالَ لَهم أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه):

أفيقوا بني غالبٍ وآنتَهوا ... عَنْ الغَي مِنْ بَعْضِ ذي المَنْطِقِ
وإلاّ فَآنّي إذَنْ خائِفٌ ... بَوائِقَ في دارِكُم تَلْتَقي
تَكونُ لِغَيْرِكُمُ عِبْرَةً ... وَرِبِ المَغارِبِ والمَشْرِقِ
كَما نالَ مَنْ كانَ مِنْ قَبلِكُمْ ... ثَمودَ وعادَ وماذا بَقي ؟
غَداةَ أُتاهُمْ بِها صَرْصَرٌ ... وناقةُ ذي العَرْشِ قَدْ تَسْتَقي
فَحَلَّ عليهِمْ بِها سُخْطَةٌ ... مِنَ اللهِ في ضَرْبَةِ الأزرقِ(٢٠)

نعم.. هذا هو سيدُنا ومولانا شيخُ المؤمنينَ أبو طالب (سلامُ اللهِ عليه) لا يُكافي شجاعتَه إلا إيمانُه.. وتلك لَمحاتٌ من سيرتِهِ المقدّسة تَتَجَلّى بها شَجاعَتُهُ التي كانت وستَبقى مَحَطَّ فخرِ بني هاشم ومُواليهم المؤمنينَ ومناراً يَسْتَضيءُ به ثُوارُهُم في وَجْهِ الطّواغيتِ.

فآنظر في سيرته (سلامُ اللهِ عليه) فَستَقرأ خِطابَ ربيبه ﷺ (واللهِ لوْ وَضَعوا الشَّمسَ في يميني والقمرَ في شمالي علىٰ انْ اترُكَ هذا الأمر ما تركتُهُ حتّى يُظهِرَهُ اللهُ أو أُهْلِكَ دونه).

---

(١٨) راجع ص٥٢

(١٩) راجع ص٦٠

(٢٠) راجع ج٣ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه).

وقولَ وَلَدِهِ (سلامُ اللهِ عليه): (والذّي نَفْسُ آبن أبي طالبٍ بيدِهِ لَأَلْفُ ضَربةٍ بالسّيفِ أهونُ عليّ مِنْ ميتةٍ على الفراشِ، فواللهِ لَابنُ أبي طالبٍ آنسُ بالموتِ من الطفلِ بثَدْيِ أمِّه).

وهْتافَ كَنَتِّهِ الصِّدّيقةِ (سلامُ اللهِ عليها) في مَجْلِسِ رُؤوسِ النِّفاقِ وَقادةِ المُنقلبينَ المرتَدين تَحُضُّ النّاسَ على الثورةِ عليهم (أفتَأخَرْتُمْ بعدَ الإقدامِ وجَبُنْتُمْ بعدَ الشَّجاعةِ عنْ قومٍ (نَكَثوا أيْمانهم مِنْ بعدِ عَهْدِهِم وطعَنوا في دينِكم فقاتِلوا أئِمّةَ الكُفرِ أنّهم لا أيمانَ لَهُمْ لعلّهُمْ يَنْتَهون، أَلا تُقاتلونَ قوماً نكَثوا أيمانَهُم وَهَمّوا بإخراجِ الرّسول وهمْ بَدَؤوكم أوّلَ مرة أتَخْشَوْنَهم فاللهُ أحقّ أنْ تخشَوْهُ إنْ كنتم مُؤمنين، قاتِلوهُم يُعذّبْهُمَ اللهُ بأيديكم ويُخْزِهِم ويَنْصُرْكُم عليهم ويَشْفِ صُدورَ قومٍ مُؤمنين)[٢١].

وَصَرْخَةَ حفيدِهِ سيّدِ الشُّهداءِ (سلامُ اللهِ عليه) (إنّي لا أجِدُ الموتَ إلّا سَعادةً والحياةَ معَ الظالمين إلا بَرَما واللهِ لا أُعْطيهم بيدي إعطاءَ الذّليلِ ولا أُقِرُّ لهم إقرارَ العبيدِ وهَيْهات مِنّا الذِّلة).

وآنظر في كلِّ أيامِ ساداتِ الخَلْقِ آلِ مُحمّد ﷺ تَجِدْ الأمتدادَ الرِّسالي لِسيرةِ شَيْخِهِمْ وعَميدِهِمْ أبى طالب (سلامُ اللهِ عليه) قولاً وفعلاً، إيماناً وشَجاعةً. وَسَترى ما يكونُ عليه شأنُ خاتَمِهم المهديِّ (سلامُ اللهِ عليه) كما سَترى أنَّ حَظَّ

---

(٢١) الآيات ١٢-١٤ من سورة التوبة. وانظر خطبة الصِّدّيقة الزّهراء (سلامُ اللهِ عليها) في كتاب أخبار السقيفة لابن بكر الجوهري، ج١٦ شرح نهج البلاغة للمعتزلي، كتاب العباسية للجاحظ، بلاغات النساء لابن أبي طيفور وج١ الاحتجاج للطبرسي. وانظر التفاصيل في كتابنا (الظليمة).

المنافقين في طَعْنِهم بشَجاعةِ سيِّدِنا ومولانا أبي طالب (سلامُ اللهِ عليه)[٢٢]. وكما قُلنا آنفاً، لم يُكنْ بأوفر منه في طَعْنهم بإيمانه ولا بَلَعْنِ ولده علىٰ المنابر ثمانين عاما.

لقد سَعىٰ المنافقون وأبناؤهم مِنْ بعدهم لإطفاءِ نورِ شيخِ المؤمنين (سلامُ اللهِ عليه)، ومكروا ومَكَرَ اللهُ. فلقد كان مِنَ المُمكن أنْ تَبْهَتَ آثارُ سيِّدنا (سلامُ اللهِ عليه) أو تَنْدَرِسَ في بطونِ التأريخ بمرور القُرون فجاءَ مَكْرُ النّاصبةِ لتبقىٰ تلك السّيرةُ حيّةً عَبقةً وتزدادُ فضائِلُ وفواضِلُ صاحِبِها جَلاءً وتألقاً وحقيقةُ أولئك المنافقين خِزْياً وسوءً.

(وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرىٰ الَّذينَ كَذَبوا علىٰ اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أليسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكبرينَ، وَيُنجّي اللهُ الّذينَ اتّقوا بِمَفازَتِهِم لا يَمَسُّهُمُ السّوءُ ولا هُمْ يَحْزَنون) سورة الزمر/ ٦٠-٦١.

وَصَلّىٰ اللهُ علىٰ ساداتِنا ومَوالينا أبي طالبٍ وَحَليلَتِهِ وَوُلْدِهِ وأبْنَتِهِ وأخويْهِ وَيَتيمِهِ وبِضْعَتِهِ وَبَنيهِ صَلاةً لا أجْرَ لَها إلا رِضاهُمْ.

المنافقون ان سيدنا أبا طالب (سلام الله عليه) قال لربيبه ﷺ حين نزلت (فاصدع بما تؤمر/ راجع ص/٤٨): لا تكلفني ما لا اطيق وابق عليّ وعلى نفسك!! ولعنوا بما لفقوا (وقد خاب من افترى).

عِلَّةُ النَّواصِبِ في بُغْضِهِم لِأَبي طالِبْ (سَلامُ اللهِ عليه)

وَسائِلٍ: عَلامَ هؤُلاءِ يُبْـ ... ـغِضُونَ كافِلَ الحَبيبِ المُصْطَفى

وَوُدُّهُ أَجْدى بِهِمْ لَوْ أَبْصَروا ... وَوُدُّهُ فَريضَةٌ لَوْ اُنْصِفا

ذاكَ أَبو طالِبٍ مَنْ كانَ بِأَحْـ ... ـمَدَ ضَنيناً وَوَلُوعاً شَغِفا

لَوْلاهُ ما تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ آلـ ... ـغَيِّ وَلا نَهْجُ الهُدى تَكَشَّفا

جَنَّدَ في نُصْرَتِهِ لِسانَه ... وَسَيْفَهُ وَأَهْلَ بَيْتٍ حُنَفا

وَابْنُهُ مَنْ بَدَّدَ جَمْعَ الشِّرْكِ فَاسْتَحالَ ... ما بَنُوهُ قاعاً صَفْصَفا

وَلَمْ يَدَعْ بَيْتاً لَهُمْ إِلّا وَجا ... رِياتُهُ عَلَى النِّياحِ عُكَّفا

يَنْدُبْنَ أَشْياخاً عُتاةً بَعْدَما ... صَيَّرَهُمْ سَيْفُ عَلِيٍّ جِيَفا

فَقُلْتُ: يا صاحِبي وَاللهِ لَئِنْ ... لَمْ يَكُ غَيْرُ بَعْضِ هذا لَكَفى

لِيُبْغِضَ القَوْمُ أَبا طالِبٍ إِذْ ... لَوْلاهُ نُورُ اللهِ في الأَرْضِ اِنْطَفى

فَلا تَلُمْهُمْ فَفي أَعْراضِهِمْ ... السِّرُّ في إِعْراضِهِمْ عَنْهُ اخْتَفى

فَبُغْضُهُمْ لِحَيْدَرٍ بِبُغْضِهِمْ ... لَهُ، وَذا بِبُغْضِهِمْ لِلْمُصْطَفى (٢٣)

---

(٢٣) علام: لأيِّ علّة، الضنين بالشيء: الحريص عليه، الولوع: المحب، الشغف: شديد المودة، حُنفا: مسلمين، عُتاة: طغاة، إعراض: انحراف عن. والبيت يشير لقوله صلى الله عليه وآله (لا يُبغضنا أهلَ البيتِ إلّا ابنُ زِنا) انظر مناقب ابن مردويه واسنى المطالب للجزري وج١ شرح النهج للمعتزلي.

((مراجع الكتاب))

١- الكتاب المجيد.

٢- نهج بلاغة امير المؤمنين (سلام الله عليه) شرح المعتزلي عبد الحميد بن ابي الحديد ت / ٦٥٦ هـ

٣- ديوان شيخ الابطح (سلام الله عليه) جمع ابي هفان العبدي عبد الله بن احمد ت / ٥٥٧ هـ

٤- تفسير الكتاب المجيد/ ابي الفتوح، البرهان ، الكاشف والبيان، الطبري، البيضاوي، الخازن، القرطبي، الكشاف، الشوكاني، اسباب النزول، الدر المنثور، مفاتيح الغيب، معالم التنزيل.

٥- السير والمغازي/ ابن اسحاق المدني ت / ١٥١ هـ

٦- الطبقات الكبرى/ ابن سعد الزهري محمد بن سعد بن منيع ت / ٢٣٠ هـ

٧- السيرة النبوية/ ابن هشام، زيني دحلان، الحلبية.

٨- نجاة ابي طالب وابويّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)/ عبد الرسول البرزنجي.

٩- ضياء العالمين/ الفتوني.

١٠- الحجة على الذاهب/ السيد ابن معد الموسوي بشمس الدين فخار ت / ٦٣٠ هـ

١١- السنن/ ابن ماجة، البيهقي.

١٢- الجامع الصحيح/ مسلم القشيري، الترمذي.

١٣- تاريخ/ ابن الفدا، ابن عساكر، الطبري، اليعقوبي، الاصمعي، البغدادي، الجزري.

١٤- المناقب/المازندراني، الخوارزمي.

١٥- الخصائص/ النسائي، ابن عساكر.

١٦- الملل والنحل/ الشهرستاني محمد بن عبد الكريم ت / ٥٤٨ هـ

١٧- العقد الفريد/ الاندلسي احمد بن محمد بن عبد ربه ت / ٣٢٨ هـ

١٨- الانصاف/ الباقلاني. محمد بن الطيب بن محمد ت / ٤٠٣ هـ

١٩- الاصابة/ ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي ت / ٨٥٢ هـ

٢٠- اخبار السقيفة/الجوهري. ابو بكر احمد بن عبد العزيز ت / ٢٧٢ هـ
٢١- المسند/ابن حنبل احمد بن محمد الشيباني ت / ٢٤١ هـ
٢٢- مجمع الزوائد/ الهيثمي علي بن ابي بكر ت / ٨٠٧ هـ
٢٣- الاغاني/ الاصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني ت / ٣٥٦ هـ
٢٤- اعلام النبوة/ الماوردي ابو الحسن علي بن محمد الشافعي ت / ٤٥٠
٢٥- نور الابصار/ الشبلنجي مؤمن بن حسن بن مؤمن ت / ١٣٠٩ هـ
٢٦- نهاية الطلب/ الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت / ٢٧٦ هـ
٢٧- بحار الانوار/ المجلسي محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ت / ١١١١ هـ
٢٨- كشف الغمة/ الاربلي علي بن عيسى ت / ٦٩٣ هـ
٢٩- اسنى المطالب/ زين دحلان أحمد بن زيني دحلان ت / ١٣٠٤ هـ
٣٠- المستدرك/النيسابوري. محمد بن عبد الله الحاكم ت / ٤٠٥ هـ
٣١- كمال الدين/ الصدوق (رض) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ت / ٣٨١ هـ
٣٢- صفة الصفوة/ ابن الجوزي. عبد الرحمن بن علي القرشي ت / ٥٩٧ هـ
٣٣- ذخائر العقبى/ الطبري محب الدين احمد بن عبد الله ت / ٦٩٤ هـ
٣٤- كنز العمال/ الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين ت / ٩٧٥ هـ
٣٥- كفاية الطلب/ الكنجي الشافعي. محمد بن يوسف القرشي ت / ٦٥٨ هـ
٣٦- نزهة المجالسي/ الصفوري عبد الرحمن ت / ٨٩٤ هـ
٣٧- البداية والنهاية/ ابن كثير الدمشقي اسماعيل بن عمر ت / ٧٧٤ هـ
٣٨- الدرج المنيفة/ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن ت / ٩١١ هـ
٣٩ الفتح الكبير/ النبهاني. محمد بن يوسف
٤٠- الامامة والسياسة/ الدينوري عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت / ٢٧٦ هـ
٤١- الإحكام في اصول الاحكام/الظاهري الاندلسي ابن حزم علي بن احمد ت / ٤٥٦ هـ